أسراب الأسماك الملوّنة والأحياء البحرية النادرة والشعب المرجانية التي تمتلئ بها شواطئ البحر الأحمر، واستمر الرجل في مهمّته مدّة ثلاثة أعوام أثبت فيها كفاءة نادرة، حتى إن كثيرين ممن تعلّموا الغوص على يديه عرضوا عليه زيارة بلادهم أو العمل كغوّاص خاص لديهم بمبلغ ضخم، ولكن الرجل رفض فقد أحب مهنته ومكان عمله ورفض إستبدالهما بأي مكان آخر.

إلى أن جاءت مجموعة سياحية خاصة منذ أسبوع لممارسة الغوص والتمتّع بشتاء « شرم الشيخ » الذي يدفأ فيه الجو ويقصده الكثيرون في هذا الوقت من العام.

وحدث أن اصطحب « عبد القادر » احدى هذه المجموعات لتعليم أفرادها الغوص، ومن وقتها لم يظهر حتى هذه اللحظة.

إنتهت المعلومات المدوّنة فرفع « ماجد » إلى رئيسه عيوناً متسائلة قائلاً : هل غرق الرجل؟

ردّ « م » وهو يشعل غليونه : لا.. إنه لم يغرق وإلا كنا قد عثرنا على جثته داخل الميناء.

ماجد: ربما جرفها التيار إلى قلب البحر؟

قال « م » وهو يأخذ نفساً عميقاً : لو كان هذا حدث لعادت المجموعة التي غاص معها « عبد القادر » وأبلغونا بغرقه.

زم « ماجد » حاجبيه قائلاً : لا أفهم يا سيدي.. وأين إختفت هذه المجموعة أيضاً؟

رد « م » وهو ينقر طرف مكتبه : لقد تحرّينا المسألة بالكامل فعلمنا أن تلك المجموعة وهي مكوّنة من فتاتين وشاب ووالده المليونير الايطالي قد حضروا إلى « شرم الشيخ » بيخت فاخر سريع يملكه المليونير الايطالي المدعو « كارلو جيوفاني » وهو رجل مشبوه، وأن احدى فتاتي المجموعة وتدعى « جينا لوبون » وهي فرنسية سجّلت اسمها فقط في سجلات مركز الغوص وطلبت أن يقوم « عبد القادر » بتعليمها الغوص وحدها بأجر عال، ومن الثابت أنها اصطحبت بعد ذلك المليونر الايطالي وإبنه المدعو « جينو » والفتاة الأخرى للغوص داخل الخليج، والمؤكد لدينا أن المجموعة بعد أن غاصت في الماء ومعها مدرّب الغوص المصري، قام أفرادها الأربعة أو بعضهم بشل حركَة « عبد القادر » واختطفوه إلى اليخت الذي كان ينتظرهم على الشاطئ بعيداً عن أعين بقية المصطافين، وأن اليخت أبحر إلى شواطئ « ايطاليا » على الفور.

ارتسمت معالم الدهشة على وجه « ماجد » وقال : اذن فقد اختطف « عبد القادر »، لماذا.. هل لذلك أي علاقة بعمله السابق مع البحرية المصرية؟

— لقد كان هذا ظنّنا في البداية قبل أن يُجري قسم الأمن الداخلي تحقيقاً سرياً ثبت له أن اختطاف الرجل كان لغرض آخر..

وتراجع « م » بمقعده إلى الوراء وقال : إن « لعبد القادر » هواية وحيدة وهي الغوص حتى في أسوأ الظروف الجوية وإلى أعماق كبيرة، وعندما كان يقضي اجازته السنوية الأخيرة بمدينة « نابولي » سمع حديثاً بين بعض الصيادين الايطاليين بأن هناك سفينة غارقة منذ وقت بعيد في مكان يبعد عن شاطئ المدينة بحوالي خمس كيلومترات على عمق ثلاثمائة متر وانها تحتوي على كنز من الذهب يقدر بعشرات الملايين من الدولارات، وان كان أحدٌ لم يحدد مكان السفينة الغارقة بالضبط فقد طمستها الرمال البحرية والأعشاب وغطّتها حتى كادت تُخفي أثرها، كما أن أحداً من غوّاصي المدينة أو غيرهم لم يكن ليجرؤ على الهبوط إلى هذا العمق لأسباب عديدة، منها تعرّضه لقوّة ضغط شديدة قد تقتله في ذلك العمق، وأيضاً لوجود اسماك القرش في المنطقة.

صمت « م »، وأكمل « ماجد » : ولا بد أن المغامرة قد استهوت « عبد القادر » واعتبرها تحدياً لقدرته فقرر الغوص في البحر ومحاولة العثور على السفينة الغارقة.

— هذا صحيح تماماً يا « ماجد ».. ويبدو أنه قد عثر عليها فعلاً.

— ولهذا اختطفه ركاب اليخت بعد أن تظاهروا برغبتهم في تعلّم الغوص، وعادوا به إلى « نابولي » لكي يدلّهم على مكان السفينة الغارقة ويستخرج لهم الكنز المدفون بها، لأن شخصاً غيره لن يتمكن من ذلك.

أومأ « م » برأسه موافقاً وهو يقول: هذا هو ما حدث تماماً.

ماجد: إن الأمر بسيط يا سيدي، لماذا لم تبلغوا الشرطة الايطالية أو الانتربول للقبض على هذه العصابة وتخليص « عبد القادر » من أيديها؟

أطلق « م » سحابة من دخان غليونه وهو يقول: إن لدينا العديد من الأسباب التي تمنعنا من اتخاذ هذه الخطوة.

ومال بمقعده إلى الأمام وهو يقول: أول هذه الأسباب هو الخوف على حياة « عبد القادر »، فإذا أحس هؤلاء الأفراد بتتبع الشرطة الايطالية أو الإنتربول لهم فلا شك أنهم سوف يقومون بالتخلّص من الرجل بقتله أو إغراقه لاخفاء الدليل المادي على إختطافهم له.. أما السبب الثاني فهو أن حكومتنا ترغب في الحصول على الكنز الغارق داخل السفينة، وبالتأكيد فإن الشرطة الايطالية أو الانتربول إذا ما علما برغبتنا فإنهما لن يساعدانا على تحقيقها أبداً.

قال « ماجد » بحيرة : لست أفهم يا سيدي، ولماذا ترغب حكومتنا في الحصول على ذلك الكنز الغارق؟

رد « م » ببساطة : لأنه كنز مصري، فالسفينة الغارقة سفينة مصرية.

بدأ « ماجد » يفهم ما يجري، وأكمل « م » : لقد كانت هذه السفينة في رحلة بحرية من « الاسكندرية » إلى « نابولي » وقد أرسلها حاكم مصر في ذلك الوقت، الوالي « محمد علي باشا »، وكانت السفينة مكدّسة بصناديق الذهب الذي قيل إن عددها يصل إلى خمسين صندوق كل منها يحتوي على مائة كيلوجرام من الذهب، مما يساوي الآن ما يقرب من خمسين مليون دولار، وهذا الذهب أرسله « محمد علي » لشراء بعض الماكينات الحديثة الثقيلة التي ظهرت في ذلك الحين في أوروبا، والتي أراد الوالي الحصول عليها لتبدأ على أكتافها نهضة مصر الصناعية، ولكن سوء الحظ كان بالمرصاد للسفينة الكبيرة، فبعد أن عبرت البحر لاقت عاصفة على مبعدة حوالى خمس كيلومترات من الشاطئ الايطالي وغرقت بحمولتها وبحاريها، ومنذ ذلك الوقت لم يعثر لها على أثر.

ماجد: لقد فهمت المسألة تماماً يا سيدي، وبالتأكيد فإن الحكومة الايطالية لن تسمح بخروج الذهب من مياهها مهما كانت الأسباب، وحتى لو ثبتت ملكيتنا للذهب ملكية قاطعة.

ـــ تماماً.. وهذا ما دفعنا إلى عدم ابلاغ الشرطة الايطالية أو الانتربول، وجاءت التعليمات بأن يتولى قسم العمليات الخارجية المهمة المزدوجة.. انقاذ « عبد القادر » واعادته للبلاد، واعادة الذهب أيضاً.. ولست أشك انك قادر على ذلك.

وهكذا تحدّدت مهمة « ماجد ».. ووصل « نابولي » في مساء نفس اليوم، وبعد بحث سريع استطاع الاهتداء إلى اليخت الذي استُخدم في اختطاف « عبد القادر »، وكان يملكه المليونير الايطالي « كارلو جيفاني » والذي كوّن ثروته بطرق غير مشروعة.. وهو والد « جينو » الشاب المتناسق العضلات الذي استقل الزورق البخاري مع الفتاتين منذ قليل، وأن الأربعة هم أفراد المجموعة التي إختطفت « عبد القادر »، وإن كان « ماجد » حتى هذه اللحظة لم يستطع الاهتداء إلى « عبد القادر » ومعرفة مكانه.

* * *

معركة مع القرش

كان قارب « ماجد » لا يزال يشقّ طريقه وسط الأمواج الصاخبة التي كادت تقلبه أكثر من مرة لولا مهارته وتحكّمه في قيادته.. وهطل المطر بشدّة حتى تحوّل إلى سيل جارف، ولكن القاربين استمرا في انطلاقهما، الأول بالأمام يبدو أنه يتّجه إلى هدف محدد، والثاني يتبعه عن بعد متحاشياً الظهور في مدى رؤية ركابه..

وأخيراً توقف القارب الأول في بقعة على مسافة خمس كيلومترات من الشاطئ، فانحرف « ماجد » بزورقه متخذاً مساراً دائرياً، وأوقفه على مسافة تصل إلى كيلومتر من القارب الأول، وساعده هطول الأمطار والأمواج المتدافعة على عدم اكتشاف مكانه، وأخرج من حقيبة صغيرة معه نظارة مكبّرة وجّهها نحو الزورق الأول وركابه.

كان « جينو » ابن المليونير « كارلو » قد ارتدى ملابس الغوص ومعه الفتاتان، وتبادل الثلاثة حديثاً مع راكبي الزورق الآخرين، وشاهد « ماجد » بنظارته ثلاث بكرات كبيرة في مؤخرة الزورق، التقط
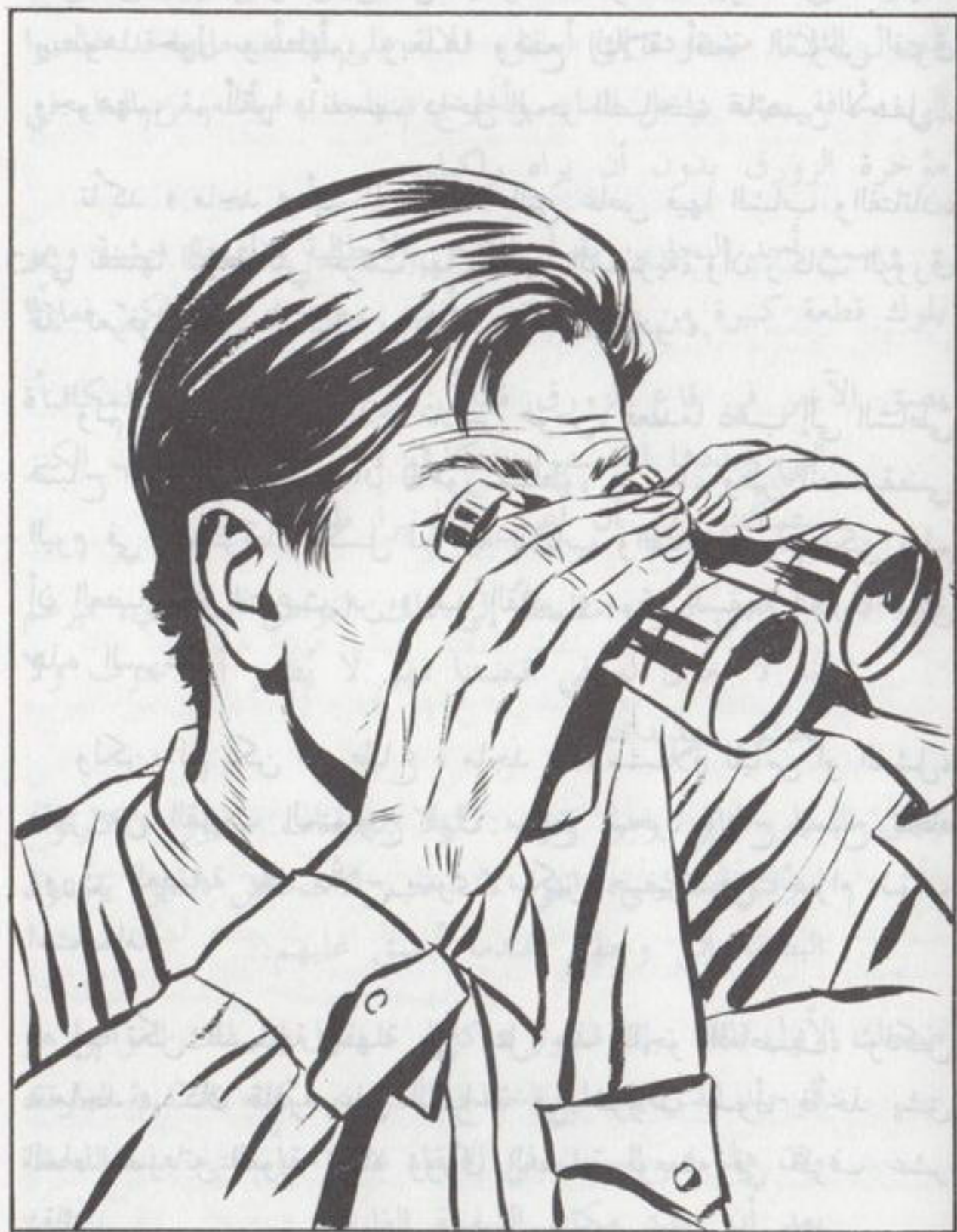
كل من الشاب والفتاتين من البكرات أطراف خيوط قوية سميكة ربطوها حول وسطهم، وبعدها وضع الثلاثة أقنعة الغوص فوق وجوههم، ثم ألقوا بأنفسهم داخل البحر الصاخب غائصين لأسفل..

تأكد « ماجد » أن تلك البقعة التي غاص فيها الشاب والفتاتان، هي نفسها البقعة التي غرقت بها السفينة المصرية، وأن ركاب الزورق قد تعرّفوا على المكان بواسطة « عبد القادر ».

ولم يكن لدى « ماجد » ملابس غوص، فعندما ذهب إلى الشاطئ صباح اليوم لم يحسب أن الأمور ستتطوّر سريعاً، وظنّ أنه سيقضي اليوم في الاسترخاء بكسل لمراقبة الشاب والفتاتين، ولم يكن يعلم أن العصابة قد انتزعت من « عبد القادر » موقع السفينة الغارقة بمثل هذه السرعة.

ولكن، لم يكن من طباع « ماجد » الاستسلام لليأس أو الفشل، فقفز من القارب المتماوج فوق سطح البحر، وراح يسبح تجاه زورق العصابة بلا سلاح سوى سكين صغيرة في حزام ثوب استحمامه.

لم تكن السباحة سهلة في مثل هذا الجو العاصف، ولكن « ماجد » كان قادراً على السباحة في ظروف أسوأ، فأخذ يشق الماء بضرباته القوية تجاه زورق العصابة فوصله في ظرف عشر دقائق..

وغاص « ماجد » تحت الماء مقترباً بهدوء من أسفل الزورق، فشاهد الحبال الثلاثة مشدودة إلى أسفل، دلالة على أن أصحابها قد غاصوا إلى مسافة بعيدة داخل الماء، وأخرج « ماجد » رأسه من الماء في مؤخرة الزورق بدون أن يراه راكباه.

وسمع أحد البحارين يقول للآخر بالايطالية وبلهجة خشنة وهو يلوك قطعة كبيرة من التبغ : أتظن أنهم سيعثرون على الكنز فعلاً؟

بصق الآخر في قاع الزورق قائلاً : أرجو ذلك، فإن المكافأة التي حددها لنا سنيور « كارلو » في حالة اكتشاف الكنز ستمكّنني من أن أعيش مليونيراً طوال حياتي.

قال الأول : انني لست مطمئناً إلى ذلك الغواص المصري، فبرغم انه لا حول له في قبضتنا فهو لا يُظهر أي خوف ولا يخشى تهديداتنا.

بصق البحار الثاني وهو يقول : لولا تعليمات سنيور « كارلو » لمزّقته بسكيني، انني لا أحب الأشخاص الذين يعيدون البصقة إلى وجهي عندما أبصق عليهم.

ضحك الأول قائلاً : إن سنيور « كارلو » يقول إن ذلك الغواص هو الوحيد الذي يستطيع إخراج الكنز من مكانه بالسفينة الغارقة، وان هذا هو السبب في الابقاء عليه حياً حتى هذه اللحظة بعد أن حدد مكان السفينة الغارقة.

جز البحار الثاني أسنانه وقال وهو يتحسّس مسدّسه : ما ان ننتهي من هذا العمل فسأطلب من سنيور « كارلو » أن يكون ضمن مكافأتي رأس هذا الغوّاص.

وقهقه الاثنان بشدّة، واطمأن « ماجد » انه صار قريباً من هدفه، فقد كان واضحاً من حديث البحارين أنهما عليمان بمكان « عبد القادر »، ومن السهل عليه تتبعهما وزورقهما لمعرفة مكان الغواص المختطف.

فجأة أحسّ « ماجد » باضطراب بسيط في الماء تحته.. إضطراب لا يمكن أن يشعر به شخص آخر غيره.. برغم العاصفة حوله..

كان احساسه أشبه برادار التقط شيئاً مريباً، وعلى الفور غاص سريعاً تحت الزورق وهو موقن أن حاسته لم تكذب عليه أبداً.

وفوجئ « ماجد » عندما شاهد سمكة القرش التي يزيد طولها عن المترين، والتي كانت تنظر نحوه بعيونها الباردة الصغيرة، وقد فتحت فكّها فظهرت به اسنانها الحادة في سبعة صفوف متراصّة كأسنان المنشار خلف بعضها.

فوجئ « ماجد ».. وراحت السمكة تدور حوله في دائرة متّسعة وعيونها مسلّطة عليه كعادة القرش قبل الهجوم.. كأنه يقوم بتخدير ضحيّته قبل الهجوم عليها.

وراحت الدائرة تضيق وتضيق مع اقتراب السمكة، ولم يعد يفصلها الكثير..

وكما توقّع « ماجد »، فقد هجمت عليه سمكة القرش القاتلة بعد أن أكملت دورتها الثالثة، وفكّها مفتوح عن آخره كاشفاً عن صفوف اسنانها المرعبة..

كان هجوم سمكة القرش مباغتاً أشبه بطلقة الرصاص، ولكن حركة « ماجد » كانت أسرع لتوقّعه هجومها، فغاص بسرعة مبتعداً عن الفك القاتل..

ولكنه لم يبتعد كثيراً، وسرعان ما لحق القرش به، وتأهّب لمهاجمته مرة أخرى..

كانت السمكة سريعة، وأيقن « ماجد » أنه لن يتمكّن من الهرب منها، بدون أن يكشف نفسه لراكبي الزورق المسلّحين، فيقع في أيديهما فريسة سهلة.. ولام نفسه أنه لم يتهيّأ لتلك المغامرة ويتسلّح لها.

ولكن، لم يكن هذا وقت الندم أو التراجع.. وكان عليه مواجهة السمكة وقتلها..

وعلى الفور أخرج « ماجد » سكّينه من وسطه وتهيّأ لمقاتلة السمكة المتوحّشة، واندفعت السمكة نحوه فاتحة فمها عن آخره وهي توشك أن تقضم ذراعه الممدودة للأمام، وبحركة مباغتة ابتعد

« ماجد » عن فك السمكة وضربها بقدمه في منتصف بطنها مكان الكبد والأحشاء أضعف أجزائها. وبنفس السرعة طعن السمكة في منتصف رأسها بين عينيها بكل قوّته، ولكن السكين لم تنغرس إلا قليلاً في الجلد المطاطي، وارتجفت السمكة بقوة وضربت « ماجد » بذيلها فدفعته بعيداً، وسقطت السكين من يده إلى قلب الماء، استدارت السمكة نحو « ماجد » بغضب شديد بان في عينيها الصغيرتين الضيّقتين..

وكان على « ماجد » أن يواجه هجوم سمكة القرش المتوحّشة بيديه العاريتين، في معركة يائسة!

* * *

كان الموقف يائساً بكل تأكيد، فمن المستحيل على أي انسان مهما بلغت قوّته أن يواجه سمكة قرش بهذا الحجم بيديه العاريتين.. خاصة وهي بمثل هذا الغضب الجنوني..

كان ذلك مستحيلاً قطعاً، حتى لو كان هذا الانسان هو « ماجد »، رجل المخابرات المصرية الفذّ، فان لقدرة الإنسان وقوّته طاقة واحتمالاً، مهما بلغت قدرة هذا الانسان ومهارته.

كان « ماجد » يدرك ذلك جيداً، وكان يعلم أنّه لن يتمكن طويلاً من الهرب من أسنان السمكة القاتلة، والتي زاد هياجها بسبب الضربة المؤلمة التي نالتها في بطنها واصابتها بالسكين في رأسها، والدم

ينسال منها.. كما كان يستحيل على « ماجد » الاستنجاد براكبي الزورق اللذين لا يدريان عما يدور أسفل زورقهما شيئاً.

كان على « ماجد » أن يواجه السمكة القاتلة وحده مهما كان الثمن..

واذا كانت القوة قد تعجز أحياناً، فإن الذكاء لا يعجز أبداً، ولم يكن « ماجد » ينقصه الذكاء.. وعلى الفور إندفع سابحاً تجاه حبال الصلب الرفيعة الممدودة من بكرات الزورق إلى القاع، واحتمى خلفها مُغرياً السمكة القاتلة للحاق به..

اندفعت سمكة القرش نحو « ماجد » وسط الخيوط الثلاثة، فإستدار مبتعداً في اللحظة المناسبة، وبنفس الوقت قام بلف الخيوط حول السمكة لفة واحدة بسرعة مذهلة.

وجن جنون السمكة وحاولت الهرب من الخيوط الصلبة، وقبل أن تتمكن من ذلك استطاع « ماجد » أن يلف الخيوط مرة أخرى حول جسدها.

وزاد هياج السمكة وهي تضرب الماء بذيلها في جنون، فزادت الخيوط القوية الثلاثة التفافاً حول جسدها مثل شبكة.

وإهتزّ القارب بشدّة من أعلى وكاد أن يغرق بسبب شدة ضربات السمكة، وسبح « ماجد » مبتعداً وأخرج رأسه من تحت الماء وتنفس بعمق، فشاهد البحارين الايطاليين وقد أصابهما الذعر لإهتزاز القارب

بشدّة، وهما لا يدريان سر ما حدث، وفجأة برزت السمكة على وجه الماء وقد تعقدت الخيوط حولها، وراحت تهاجم الزورق بفكّها القاتل في عنف، وارتج القارب بشدّة فسقط أحد البحارين في الماء فانقضت عليه السمكة بلمح البصر وقبضت على ساقه بأسنانها المرعبة، وصرخ البحار في جنون.. وعلى الفور صوب زميله مسدّسه نحو رأس السمكة واطلق رصاصات مسدّسه عليها..

وعلى الفور تركت السمكة المتوحّشة فريستها بعد أن التهمت ساقه، وإنفجر الدم من جراحها وانقلبت على وجهها ميتة وهي لا تزال قابضة بأسنانها على الساق المقطوعة..

وأسرع البحار الثاني يلتقط زميله الذي فقد ساقه وانفجرت الدماء من قدم البحار المصاب الذي فقد وعيه لشدّة ألمه..

وأخذ البحار الثاني يصرخ في هيستريا وهو يحاول إيقاف نزيف الدماء المتفجّرة من ساق زميله المصاب، ولم تكد تمضي ثوانٍ حتى صعد الشاب الايطالي والفتاتان وقد أصابتهما الدهشة مما يشاهدان، وأخذ زميل البحار المصاب يقص عليهما في هيستريا ما حدث لزميله وما فعلته السمكة المتوحّشة به..

تأمل « جينو » السمكة الميتة وفكّر بدهشة ثم التفت إلى الرجل قائلاً : ولكن كيف التفت الحبال حول جسد السمكة؟

هتف البحار باكياً : وكيف أعلم.. لقد شاهدتها تهاجم زورقنا

بعد أن تعقّدت الخيوط حولها، ولولا أن أسرعت بقتلها لاتهمتني أنا أيضاً.

ظهر القلق على وجه الشاب والفتاتين، وألقى « جينو » حوله نظرة متفحّصة، ولكن سوء الأحوال الجويّة لم تمكّنه من الرؤية جيداً.

وأفاق البحار المصاب، وراح يصرخ من شدّة ألمه، فأمر « جينو » البحار الثاني أن يقود الزورق عائداً إلى الشاطئ، بعد أن خلصوا السمكة الميتة من الحبال وألقوها في الماء.. ودارت محركات الزورق واندفع يشق الماء بسرعة نحو الشاطئ.

وابتسم « ماجد »، فإن نتيجة المعركة لم تكن سيئة تماماً، وسبح بقوة نحو زورقه..

ولكن الزورق لم يكن هناك، فقد جرفته الأمواج العالية وأغرقته.. وكان على « ماجد » أن يسبح خمسة كيلومترات وسط الأمواج والرياح العاتية.. ومخاطر هجوم اسماك القرش..

* * *

محاولة للقتل؟

وصل « ماجد » إلى الشاطئ وقد أنهكته السباحة تماماً في ذلك الجو الذي انقلب إلى عاصفة عاتية، فكان يصارع الموج والرياح معاً، وكان من حسن حظّه أن اسماك القرش تلهّت برفيقتها الميتة فانقضت عليها كطير الأبابيل، وفي دقائق معدودات أتت عليها وحوّلتها إلى هيكل عظمي، وكانت هذه الدقائق كافية ليبتعد « ماجد » عن موطن الخطر..

وما كاد يخطو إلى الشاطئ حتى شاهد صاحب مرسى الزوارق، وهو يتحدّث بصوت لاهث مضطرب وعصبية شديدة لإثنين من رجال شرطة الشاطئ، ووصلت إلى أذني « ماجد » كلمات متفرّقة مثل : هذا الشاب مجنون.. جدّته العجوز.. سمكة تونة.. لا بد انه غرق..

ولكن الكلمات توقّفت على شفتي الرجل وهو يحدّق في الشاب

الخارج من البحر، وتمتم الرجل وهو يرمق « ماجد » ذاهلاً : أنت.. ألا تزال حياً؟

رد « ماجد » بابتسامة عريضة مجهدة : لقد غرق الزورق بسبب العاصفة وهو شيء مؤسف، ولكن مما يخفف حزني انني أتيت بالسمكة التي طلبتها جدتي.

ورفع بين أصابعه سمكة تونة صغيرة، فحملق به الرجال الثلاثة فاغرين أفواههم، وقد أيقنوا أنهم يشاهدون مجنوناً بكل تأكيد.

* * *

كان الوقت مساء، وقد خفت حدة العاصفة خارج الأوتيل الصغير بالقرب من الشاطئ..

وقضى « ماجد » وقته في النوم لإراحة عضلاته المنهكة من السباحة العنيفة التي خاضها ظهر اليوم. فلما أقبل المساء كان قد استعاد نشاطه وحيويته وتبدد تعبه.. فغادر فراشه وأخذ دشاً بارداً وهو يحس أنه مصاب بقليل من البرد، ودسّ مسدّساً صغيراً من طراز « بيريتا » ٩ مم في حزام صغير بساقه اليمنى، وارتدى ملابس رياضية خفيفة وغادر حجرته، وراح يسير خارج الأوتيل بمحاذاة الشاطئ خلال دقائق.

وبالخارج كانت العاصفة قد هدأت حدّتها وكفّت الأمطار عن

الهطول، وإن كانت الرياح لا زالت تعصف بالمكان. وسار « ماجد » باتجاه نقطة بعيدة في نهاية الشاطئ حيث تقع الفيلا التي استأجرها المليونير الايطالي « كارلو البرتو »..

كان الشاطئ خالياً معتماً، مما أتاح « لماجد » فرصة للتفكير العميق.. لقد بات كثير من الأمور مؤكداً الآن، فإن المليونير « كارلو » وإبنه ضالعين في الأمر إلى آذانهما، وكذلك الفتاتين، البرازيلية السمراء « صوفي » والفرنسية الشقراء « جينو » ومعهما عدد أيضاً لا بأس به من البحارة ومحترفي مثل هذه الأعمال ممن يقومون بخدمة المليونير وأداء مثل هذه الأعمال له مقابل أجر..

ووضح أن المليونير قد بدأ التحرّك فعرف من « عبد القادر » مكان السفينة الغارقة بالضبط، وأن هبوط « جينو » والفتاتين للمعاينة في نفس البقعة من المحيط يؤكد حصولهم على معلومات مؤكدة بمكان السفينة الغارقة..

ولكن أين تُخبئ العصابة « عبد القادر ».. كان هذا هو السؤال الذي يشغل بال « ماجد »، وفكر في أنه من البديهي أن رجلاً مثل « كارلو » لن يقامر باخفاء الغواص في فيلته المستأجرة على الشاطئ، تحسباً لأي إحتمال يستدعي تفتيش الفيلا من الشرطة المحليّة..

وكان « ماجد » يريد الإسراع بالوصول إلى مكان « عبد القادر »،

فإن هذا سيسهل من مهمته، خاصة إذا استطاع أن يبني خطّته على التعاون المشترك مع « عبد القادر » كمجموعة واحدة.. وقد كاد الحظ أن يكون حليفه عندما عرف أن البحارين اللذين هاجمتهما سمكة القرش يعرفان مكان « عبد القادر »، ويقومان على حراسته، ولولا هجوم سمكة القرش عليهما وإصابة أحدهما وفقد زورقه لتتبعهما وعرف مكان « عبد القادر ».

ولكن « ماجد » لم يكن ممن يفقدون الأمل سريعاً..

إقترب من الفيلا.. ولم يكن هناك أي شخص لحراستها، وظهرت بعض أضوائها من الداخل تنبئ بوجود أشخاص بداخلها..

إقترب « ماجد » بحذر حتى لامس سور الفيلا، وبنظرة ثاقبة أدرك أن هناك سلكاً كهربياً عارياً مُخفي بمهارة ويدور حول السور الخارجي للفيلا ويبعث به تياراً هائلاً يصعق فيلاً لو مسّه.

وإبتسم « ماجد »، فإن هذا الاحتياط كان يفسّر عدم وجود حراسة لفيلا يستأجرها رجل خطير مثل « كارلو البرتو ».

كان السور عالياً يستحيل قفزه بدون تسلّقه، وتلفت « ماجد » حوله فشاهد قارباً خشبياً صغيراً على البُعد، وتحرك « ماجد » بخفة نحو القارب فحمله فوق ساعديه وأسنده برفق إلى سور الفيلا المكهرب، وبخفة النمر تسلّق القارب لأعلاه ثم قفز عبر السور إلى حديقة الفيلا بدون أن يصدر عنه أي صوت..

وتسلق أفريزاً خارجياً يصل إلى حجرة المكتب المضاءة، وأطل بحذر داخلها من النافذة المفتوحة..

شاهد « ماجد » المليونير الايطالي البدين « كارلو » وابنه بداخل الحجرة، وقد ظهر عليهما العصبية والقلق..

هتف كارلو : هذا الغبي « سوتي » الذي أكلت السمكة ساقه كاد يفضحنا بعد أن أتيت له بطبيب ليعالج ساقه المبتورة وهو يصرخ ويبكي كأنه فقد حياته لا ساقه، وذلك الغبي الآخر « كيرتو » الذي راح يولول كإمراة.

جينو : أخبرتك من قبل يا والدي أن مثل هؤلاء الحثالة الذين تستعين بهم يكون ضررهم أكثر من نفعهم، إنني بحاجة الى محترفين لتنفيذ مثل هذه العملية.. إنها خمسون مليون دولار وتستحق المخاطرة مهما كان حجمها.

نفث الأب دخان سيجاره الكبير في فراغ الحجرة وقال : معك حق، إننا بحاجة إلى محترفين فعلاً.. سوف أعوّض هذين الغبيين ببعض المال ثم أصرفهما..

وظهرت ملامح من القلق على وجه « جينو » وهو يقول : هناك شيء عجيب لم أنتبه له إلا الآن..

والتفت لوالده قائلاً : سمكة القرش.. لقد كان من المستحيل أن تلتف حولها الخيوط بمثل تلك الطريقة المعقّدة..

كارلو: ولِمَ لا.. إن القرش عندما يحسّ بالخطر فإنه يتصرّف بطريقة جنونية، وليس مستبعداً أن هذه السمكة المتوحّشة التفت حول أحد الخيوط وبسبب غبائها راحت تحاول الخلاص منه فتعقّدت باقي الخيوط حولها فهاجمت الزورق.

قال « جينو » ساخراً : وهل تظن أنها طعنت نفسها بسكين في رأسها أيضاً؟

التفت الأب بدهشة قائلاً : ماذا؟

جينو : هذا هو ما شاهدته بعيني في السمكة الميتة، لقد كان هناك جرح في رأسها ما بين عينيها، ومثل هذا الجرح لا تحدثه إلا سكين، وقد أخبرني « كيرتو » انه لم يستعمل إلا الرصاص ضد السمكة.

قال « كارلو » بقلق : وما معنى ذلك؟

— معناه أن هناك من يسعى خلفنا وكان يراقبنا، ولعل السمكة هاجمته أسفل الزورق فدافع عن نفسه بسكينه، وأنقذه تعقد الخيوط حول السمكة.

ظهر توتر شديد على وجه « كارلو » وهو يقول : ومن يمكنه أن يفعل ذلك ولماذا؟

رد « جينو » بعيون ضيِّقة : هذا ما يجب أن نعرفه، بأسرع وقت ممكن.

غادر « ماجد » مكمنه هابطاً لأسفل، وسرعان ما كان يغادر الفيلا قافزاً من بين أغصان احدى أشجار حديقتها إلى الخارج، وحمل القارب الخشبي فأعاده إلى مكانه على الشاطئ، واتجه نحو الأوتيل وهو يفكر.. لقد كان استنتاجه صحيحاً بشأن « عبد القادر »، ولم يقلقه اتجاه « كارلو » للاستعانة بمحترفين لإتمام عملية الحصول على الكنز الغارق، فإن هذا من شأنه زيادة الأمور سخونة وإثارة.

وراود « ماجد » سؤال أخير وهو يدلف إلى داخل الفندق الدافئ، ترى هل سينجح « جينو » في كشف شخصيته والوصول إليه..

وكانت الساعات القادمة كفيلة بكشف اجابات هذا الاحتمال..

اتجه « ماجد » إلى قاعة الديسكو بالفندق.. ولم تكن القاعة مزدحمة، بل كان هناك بعض الأشخاص متناثرين هنا وهناك فوق الموائد، أو بعض الراقصين لرقصات أمريكية سريعة.. وكان أغلب رواد النادي من الشباب الذين أقبلوا من أماكن بعيدة لممارسة بعض اللهو..

ولفت إنتباه « ماجد » على الفور المائدة الأخيرة إلى يسار الصالة، فقد كانت تشغلها اثنتان هما الفتاتان البرازيلية والفرنسية اللتان كانتا بصحبة « جينو » في نهار ذلك اليوم.. وكانت الفتاتان جالستين وحيدتين تحتسيان بعض المشروبات وهما تضحكان..

وابتسم « ماجد » ابتسامة واسعة، فقد مهد له الحظ تلك

المصادفة، وكان عليه أن يستغلها، وعلى الفور اتجه صوب مائدة الفتاتين وقال بفرنسية مهذّبة ووجه باسم متألّق زاد من وسامته : أتسمحان لي أن أشارككما مائدتكما؟

تطلّعت إليه الفتاتان، وقالت البرازيلية بايطالية يشوبها قليل من العداء : إن هناك الكثير من الموائد الخالية.

رد « ماجد » على الفور : ولكن طبيبي النفسي أمرني ألا أجلس وحيداً، خاصة إذا كانت هناك مائدة تشغلها حسناوات بالقرب مني.

وبدون أن ينتظر رداً هذه المرة جذب المقعد الثالث بالمائدة وجلس فوقه، وتطلّعت اليه الفرنسية الشقراء بوجه باسم قائلة : ان فرنسيتك رائعة برغم انك شرقي الملامح.. هل انت مغربي؟

— انك شديدة الفطنة يا حسنائي.. لقد تعلّمت ودرست في باريس، وأكاد أخمّن أنك لست فرنسية باريسية بسبب لهجتك بل من مرسيليا.

ظهر الاعجاب في عيني الفتاة وقالت : هذا صحيح.. انني أدعى « جينا » وهذه زميلتي « صوفي ».

ماجد : وأنا أدعى « ماجد شريف ».. هل تعملان هنا؟

— لا.. انا نقضي وقتاً سعيداً على الشاطئ.

تساءل ماجد : في هذا الوقت البارد؟

هزّت الفرنسية كتفيها بلا مبالاة قائلة : إنه لن يكون أبرد من شتاء بلادنا، فما الذي يمنع من التمتّع بكل لحظة نقضيها في أي مكان.

قال « ماجد » باسماً : هذه طريقة جميلة لممارسة الحياة.. ولكن يبدو أن رفيقتك لا تشاركك نفس النظرية.

جينا : انها تنتظر صديقاً.. ويبدو أن تأخّره ضايقها.

وفجأة أقبل « جينو » متّجهاً نحو المائدة، وتهلّل وجه « صوفي » وهي تنهض لاستقباله، وحدّق « جينو » في « ماجد » بعيون ضيّقة حذرة فقالت « جينا » مقدّمة « ماجد » لـ « جينو » : ماجد شريف..

تصافح الرجلان بقوّة وصمت، وهتفت « صوفي » في « جينو » : لماذا تأخّرت.. كدت أيأس من حضورك ونويت أن أذهب على الفور و ..

نظر اليها « جينو » محذّراً فقطعت البرازيلية عبارتها، ونهض « ماجد » وهو يقول : أرجو أن تسمحوا لي بالانصراف فانني أنام عادة مبكراً..

وحيا الجميع بهزّة من رأسه واتجه خارجاً وهو يتساءل، ترى هل الفتاتان ضالعتان فيما يقوم به « كارلو » و « جينو » من أعمال،

أم أنهما لا تدريان شيئاً عما تدبّره عصابة المليونير الايطالي، وأنه وابنه يتّخذان الفتاتين ستاراً لابعاد الشبهة عنهما، خاصة والفتاتان تتصرّفان ببساطة وتلقائيّة؟

وصل « ماجد » إلى حجرته، وأضاء نورها واتجه إلى فراشه فبدّل ملابسه وارتدى منامته، وأعاد مسدّسه إلى مكانه أسفل وسادته، ثم اندسّ تحت الغطاء بعد أن أغلق باب حجرته جيداً..

ومن أسفل الفراش تحرّك ثعبان سام من فصيلة الـ « كوبرا » يصل طوله إلى متر ونصف، ورفع الثعبان رأسه نحو وجه النائم أمامه، وبدا عليه أنه يستعد للدغه لدغة قاتلة في ظرف ثوان معدودة، فلا تُمكن المصاب بها حتى من الاستنجاد.

أحسّ « ماجد » بشيء من التوتّر، وفتح عينيه ففوجئ بالثعبان القاتل على مسافة أقل من متر يحدّق به بعيون رهيبة.. عرف « ماجد » الثعبان على الفور، وتأكّد أنه لو لدغه لكان في لدغته النهاية.. وخشي إن تحرّك من فراشه أو حاول مغادرته، أن ينقضّ عليه الثعبان بأسرع من لمح البرق.

وامتدّت ذراع « ماجد » اليسرى فوق الفراش بحركة متسلّلة، وبلحظة خاطفة امتدّت رأس الثعبان نحوها، وبأسرع من البرق امتدّت اصابع يد « ماجد » اليمنى لتقبض على عنق الثعبان بعد أن أزاح اليسرى بعيداً عن الثعبان القاتل، وأخذ الثعبان يتلوّى بشدّة بين قبضة

« ماجد » الحديدية محاولاً التخلّص منها، ولم يكن « ماجد » ليستطيع التخلّص من الثعبان بقتله بالرصاص وإلا جذب ذلك انتباه رواد الفندق، وإلى أنه يحمل مسدساً..

وأسرع إلى الحمام الملحق بحجرته، وأشعل سخانه بيد واحدة وهو قابض باليد الأخرى على رأس الثعبان، وامتلأ البانيو بالماء الساخن الذي زادت درجة حرارته عن ثمانين درجة مئوية فألقى « ماجد » الثعبان بداخلها، وشاهده وهو يُسلخ حياً أمامه..

زفر « ماجد » بعمق وجفّف عرقه، ووقف برهة مستنداً إلى جدار الحمام وهو ينظر إلى الثعبان القتيل ويتساءل، ترى هل تسلل الثعبان القاتل الى حجرته مصادفة بعد أن هرب من مكان ما برغم أن ذلك النوع من الثعابين لا يعيش في أوروبا بالكامل ولا يوجد إلا في آسيا وخاصة الهند، أم أن هناك يداً هي التي دسّت الثعبان أسفل فراشه، وبالتحديد هل كانت هذه اليد هي عصابة « كارلو برونتي »؟

وفكّر « ماجد » في أنه لو صح هذا الاحتمال لكانت حياته قد أصبحت مهدّدة في كل لحظة، وان ساعة القتال قد جاءت أسرع مما يتخيّل.

* * *

الخدعة الكبرى

في الصباح توجّه « ماجد » إلى الشاطئ، وقد توقّع أن تكون هناك عيون تراقبه بعد أن تأكّدت من أن الثعبان السام لم يمسه بضرر. وعلى الشاطئ كانت « جينا » مستلقية وحدها تحت أشعة الشمس الدافئة، فاقترب « ماجد » وحيّاها باسماً، فتألّق وجه الفرنسيّة لرؤياه وهتفت به : مسيو « ماجد ».. إنني سعيدة أن أراك مرة أخرى، ودعته الفرنسية للجلوس بجوارها.

تساءل ماجد : أين زميلتك الأخرى؟

ردّت جينا : انها متوعّكة قليلاً هذا الصباح وأرجو ألا يطول توعّكها.

ماجد: يبدو أنها صديقة حميمة لك.

— ليس تماماً فإنني لم أتعرّف عليها إلا منذ شهر واحد.

— والسنيور « جينو » ووالده السنيور « كارلو »؟

هزت « جينا » كتفيها قائلة : إنهما صديقا « صوفي » وهي التي عرّفتني عليهما في « روما »، وقد ذهبنا في رحلة معاً إلى « شرم الشيخ » وعدنا منذ أيام، ومنذ هذا الوقت توطّدت صداقتنا.

تطلّع « ماجد » إلى الفرنسية الشقراء وهو يفكّر، أهي لعبة جديدة للايقاع به تمارسها تلك الفتاة بتخطيط من « كارلو »، متظاهرة بأن صلتها « بكارلو » وعصابته لا تزيد عن معرفة عابرة وأنها ليست ضالعة في نشاط العصابة.

وقرّر « ماجد » أن يجاريها في اللعبة ليستكشف حقيقتها، فقال مُظهراً عدم الاهتمام : لا بد أنك تمتّعت بالغوص في « شرم الشيخ » فإن إغلب السيّاح هناك يفعلون ذلك.

إربدّ وجه الفتاة وكساه شحوب، وبدا عليها شيء من القلق والخوف وسألها « ماجد » : ماذا حدث.. يبدو أن هناك شيئاً آلمك.

تغلّبت الفتاة على حزنها وقالت لماجد : سأخبرك سراً فهل تعدني ألا تفشي به لمخلوق؟

بلا تردّد أجابها ماجد : أعدك.

قالت بصوت يقطر مرارة : لقد تسبّبنا في قتل أحد الغواصّين هناك.

باهتمام شديد تساءل ماجد : كيف؟

ـــ كان يرافقنا في غوصنا غواص ماهر يدعى « عبد القادر »، وكان شديد المهارة عليماً بقاع البحر أمام « شرم الشيخ » فطلبه سنيور « كارلو » لمرافقتنا للغوص، وتخلّفت مع « صوفي » وراء بعض أسراب الأسماك الملوّنة التي أعجبت « صوفي » فراحت تطاردها وطلبت مني أن أتبعها حتى ابتعدنا عن الباقين بمسافة، وعندما صعدنا إلى اليخت فوجئنا « بكارلو » و « جينو » يخبرانا أنهما عندما كانا يصطادان بعض الأسماك الكبيرة بالحربة اصابت « عبد القادر » وقتلته، ولذلك يجب الاسراع بمغادرة المكان قبل أن تنتبه السلطات المحلية وتقبض عليهم جميعاً مما يؤثّر على سمعة المليونير « كارلو ».

وصمتت الفتاة وهي تمسح دموعها و« ماجد » يراقبها صامتاً مفكراً في أنها، لو كانت تمثّل فهي ممثّلة بارعة بلا شك تؤدي دوراً يجهل الغرض منه، أما لو كان ما قالته حقيقة فهو يعني أن « كارلو » قد خدعها وزميلتها، واتخذهما ستاراً لابعاد الشك عن مهمته الحقيقية، ثم اختطف الغواص وخبّأه في اليخت وأخبرهما بتلك القصة الملفّقة عن اصابة « عبد القادر » وقتله.. وفكّر « ماجد » في أنه من المحتمل أيضاً أن « صوفي » ضالعة مع « كارلو » وابنه، وأنها لذلك تعمّدت ابعاد « جينا » عن الباقين حتى تسهّل لهما اختطاف « عبد القادر » واخفاءه في اليخت بدون أن تشكّ « جينا » بهما.

وبلا مشاعر سألها ماجد : وماذا حدث بعد ذلك؟

ردت الفتاة : جئنا إلى هنا، وطلب « كارلو » و « جينو » منا أن نبقى في « نابولي » بعض الوقت حتى تنتهي مسألة « عبد القادر » تماماً، فهناك احتمال أن السلطات المحلية في « شرم الشيخ » أبلغت « الانتربول » بإسمي لأنني الوحيدة التي دوّنت إسمي في سجل مركز الغوص لاصطحاب « عبد القادر » لتعليمي الغوص تحت الماء حسب طلب المليونير « كارلو »، فقد كانت أعماله تمنعه من اظهار وجوده بمصر لأنهاء بعض الصفقات السرية فدوّنت اسمي فقط في سجلات الغوص تبعاً لتعليماته.

وساد الصمت.. وأحس « ماجد » أنه يميل إلى تصديق الفتاة، وانها ليست أكثر من أداة استخدمها « كارلو » بمهارة حتى يضعها في وجه المدفع إذا فاجأه أي خطر.

وكان هناك العديد من الأسئلة في ذهن « ماجد »، ولكنه لم يشأ أن يسألها للفتاة على الشاطئ وهناك احتمال أن « كارلو » و « جينو » يراقبانهما من مكان ما.

نهض « ماجد » باسماً وهو يقول : دعك مما حدث فلا ذنب لك فيما جرى، ما رأيك أن نستأجر زورقاً نبحر به قليلاً في البحر؟

أومأت « جينا » برأسها موافقة، واتجه « ماجد » إلى مرسى الزوارق، وحيا صاحبه فأحنى الرجل رأسه باحترام شديد.

قال « ماجد » باسماً : انني أرغب في استئجار زورق لساعتين.

تساءل صاحب المرسى في قلق وتوتّر : هل ستبتعد به كثيراً يا سيدي؟

— لا تخشى شيئاً فإن ما سوف أصيده هذه المرة لن يزيد عن حوت طوله عشرين متراً.

وشاركه الرجل ابتسامته، وأشار له إلى قارب في نهاية المرسى قائلاً : ان هذا القارب جديد ويسير بسرعة مائة وعشرين كيلومتراً، وهو أفضل ما عندي.

أومأ « ماجد » برأسه موافقاً، واستقلّ القارب مع « جينا » وأدار محرّكه، وسرعان ما كان يشقّ به قلب الماء.

وقبل أن يغيب الزورق عن الأنظار ظهر « جينو » من عشّة صغيرة خلف مرسى الزوارق وهو يضع نظّارة كبيرة حول رقبته وخلفه « صوفي » بعيون حادة، واتجه الاثنان نحو صاحب المرسى الذي زاد اضطرابه عندما رآهما.

ربت « جينو » على كتف الرجل وقال بابتسامة : لقد قمت بعملك جيداً يا « سباتوني »، ومن حسن الحظ أنه خطر

لي أن أسألك إن كان غريباً قد استأجر أحد زوارقك بالأمس.. وها هي تلك البلهاء الفرنسية توشك أن تفسد كل شيء.

قالت « صوفي » بلهجة باردة : أخبرتك من قبل أنها لا تصلح لهذا العمل.

ـــ لقد كان خطأً بسيطاً وسرعان ما سنصلحه.

وتناول من جيبه عشرة ملايين لير ايطالية مدّها إلى صاحب المرسى قائلاً : أعتقد ان هذا المبلغ تعويض مناسب عن هذا الزورق الجديد عندما يغرق براكبيه.

تناول « سباتوني » المبلغ بأصابع مرتعشة وهو يقول : ولكن يا سيدي، ألن يفكر رجال الشرطة المحلية في فحص القارب بعد غرقه فيكتشفوا أنه..

قاطعه « جينو » قائلاً : وكيف سيعثرون عليه بعد أن يغرق في قلب البحر..

وزادت ابتسامته اتساعاً وقال بسخرية وهو ينظر إلى الأفق البعيد للبحر : اخبرهم أنه عاد هذه المرة ومعه فتاة فرنسية طائشة وطلبا منك زورقاً مرة أخرى لاصطياد سمكة تونة ثانية، لأن الأولى التي اصطادها بالأمس لم تعجب جدّته لكبر حجمها!

وقهقه بشدّة والتفت إلى « صوفي » قائلاً : لقد انتهينا من هذه المسألة، وعلينا أن نتفرّغ لما هو أهم منها، بعد أن نشيّع جنازة صديقتك الفرنسيّة، وذلك العميل المصري في مثواهما الأخير في بطون اسماك القرش..

• • •

انطلق الزورق « بماجد » و « جينا » بسرعة تزيد عن مائة كيلومتر، وغاب الشاطئ عنهما بعد لحظات، وحاصرهما الأفق الأزرق والمياه الصافية من كل اتجاه، والزورق يشقّ قلب الماء بسرعة..

وجلس « ماجد » أمام « جينا » ممسكاً بمقود الزورق وقال بلهجة من لا يهمّه الأمر :

رأيتك أمس تركبين زورقاً مع « جينو » و « صوفي » واثنين آخرين وتبحرون به في قلب العاصفة.

هتفت الفتاة بشيء من الفزع : لا تذكرني بما حدث.. لا أدري كيف وافقت على هذا العمل الجنوني لولا اصرار « صوفي »، لقد اتفقت مع « جينو » على الغوص في قلب البحر في العاصفة وضغطا عليّ لأرافقها.

— والرجلان الآخران؟

— انهما بحّاران ماهران قال « جينو » إنه أتى بهما ليمكنا

فوق الزورق أثناء غوصنا حتى لا تجرفه الأمواج، ومن المؤسف أن سمكة قرش كبيرة اشتبكت بخيوطنا وهاجمت الزورق وقضمت ساق أحد البحارين المسكينين.

ماجد: وهل غصتم إلى مسافة بعيدة داخل الماء؟

— حوالى مائة وعشرين متر وبعدها لم أحتمل الضغط، واضطرّت « صوفي » و « جينو » للصعود معي.

ضاقت عينا « ماجد » وهو يسألها : وما الذي يدفعهما للغوص كل هذه المسافة في هذا الجو العاصف؟

ردّت « جينا » بحيرة : هذا ما ادهشني.. إن « جينو » كان يبدو كأنه يبحث عن شيء معيّن، وأن عدم استطاعته الغوص لعمق أكبر قد ضايقه بشدّة لعدم استطاعته الوصول لهذا الشيء الذي لم يفصح لي عن طبيعته.

هزّ « ماجد » رأسه وقد بدأ يصدّق كل كلمة قصّتها عليه الفتاة، وبأنها لا ضلع لها فيما يجري حولها..

وفجأة أحسّ أن الماء يبلل قدميه داخل الزورق المنطلق بسرعة.. ونظر مندهشاً فشاهد قليلاً من الماء قد راح يتسرّب من قاع الزورق.. انحنى « ماجد » نحو قاع الزورق وفحصه بعد أن أوقف محركاته، ولامست يداه عجينة طريّة تسدّ عدداً من الثقوب في قاع الزورق، وقد أخفت العجينة الثقوب بمهارة، فقد كان لها نفس لون قاع

الزورق الأسود.. وكان واضحاً أن يداً قد عبثت بالزورق فثقبته في أكثر من موضع وسدّته بتلك العجينة، والتي سرعان ما تحلّلت عند ابحار الزورق بفعل الماء المالح فتسرّب الماء إلى الزورق..

صرخت « جينا » بفزع وهي تشاهد الماء يعلو في الزورق، واشتعلت عينا « ماجد » بغضب شديد وهتف قائلاً :

هذا الثعلب « جينو ».. لقد عرف كيف يخطّط ليتخلّص منا سريعاً، ولم يخطر ببالي أنه على هذا القدر من المهارة وسرعة التصرّف.

صرخت « جينا » : سوف نغرق.. سنغرق.

حاول « ماجد » سد ثقوب الزورق بلا فائدة، وغاص الزورق في الماء، وشاهده الاثنان وهو يغوص إلى أسفل.

هتف « ماجد » بـ « جينا » التي انهارت تماماً : تماسكي يا « جينا ».

بكت الفتاة وهي تقول : لقد ابتعدنا ما لا يقل عن مائة كيلومتراً ويستحيل علينا السباحة إلى الشاطئ، سوف نغرق قبل أن نقطع ربع هذه المسافة.

هتف « ماجد » باصرار : لا تيأسي.. إن الجو صاف وسياسعدنا هذا كثيراً.. سنسبح بقدر ما تسمح به قوّتك، وعندما يصيبك الاجهاد والتعب سأجعلك تتعلّقين بي وسأواصل السباحة بك إلى الشاطئ.

بدا على الفتاة عدم التصديق، ولكن لهجة « ماجد » الواثقة طمأنتها قليلاً، وشرع الاثنان يضربان الماء بقوة في الاتجاه الذي قدّر « ماجد » أنه يؤدي إلى الشاطئ..

وقبل أن تنقضي خمس دقائق ظهرت في الأفق نقطة بعيدة راحت تقترب وصوتها يعلو..

وهتفت « جينا » بفرحة غامرة: انها طائرة هليكوبتر..

وأخذت تلوّح للطائرة في جنون وهي تصرخ بصوت عال طالبة الانقاذ، وهتف بها « ماجد » بإشفاق:

لا تبددي قوّتك بلا فائدة، انهم لن يرونا أبداً من هذا العلو.

ولكن الطائرة غيّرت مسارها بالفعل متّجهة نحوهما، وبدأت تخفف من سرعتها وهي تهبط لأسفل باتجاههما حتى كادت تلامس سطح الماء.

وصرخت « جينا » بفرحة جنونية: سوف ينقذوننا.. سينقذوننا.

ولكن شيئاً من الشك راود « ماجد » في ذلك الانقاذ العجيب الذي جاء بمصادفة لا يمكن تصديقها..

وكان شكه في محلّه!

فمن نافذة الهيلكوبتر سقطت كتلة لحم حمراء غارقة بالدماء، ثم أعقبتها كتلة ثانية وثالثة وعاشرة في شكل دائرة مركزها « ماجد »

و « جينا » فتخضّب لون الماء حولها بلون أحمر قانٍ لكتل اللحم، وهتفت « جينا » ذاهلة : ما هذا.. ماذا يفعل هؤلاء المجانين.. سوف تأتي أسماك القرش الرهيبة على رائحة الدم واللحم وتمزّقنا.

وكان هذا ما استنتجه « ماجد » منذ أن شاهد أول كتلة لحم تسقط من نافذة الطائرة، وأدرك أن خطّته لم تقتصر على اغراق الزورق فقط، حتى لا تترك لهما أي فرصة للنجاة حتى ولو كانت ضئيلة جداً.

وشرعت « جينا » تصرخ في جنون ويأس، وعلت الطائرة العمودية عائدة من حيث أتت..

وقبل أن تنقضي ثوانٍ.. بدأت أسماك القرش هجومها المتوحّش بأسراب لا حصر لها!

* * *

الهروب الى القطب الشمالي.. لا يفيد!

رفع « جينو » كأسه قائلاً : في صحة الفرنسية البلهاء والعميل المصري.

وفعل والده و « صوفي » مثله وهم يضحكون ملء أشداقهم..

جينو : لو رأيتما هذين الغبيين والدم واللحم يحاصرانهما في كل اتجاه.. لقد قامت اسماك القرش بمهمتها خير قيام..

كارلو: هكذا يكون العمل.. والآن ما هي بقية خطتك؟

— لقد باتت بقية الأمور سهلة ميسّرة، فقد تخلّصنا من البحارين بمبلغ من المال وحذّرتهما إن هما فتحا فمهما بكلمة فسوف أُخرسهما إلى الأبد.

— وعبد القادر؟

جينو : سأجبره على استخراج الكنز من السفينة الغارقة رغماً عنه، فلا أحد يستطيع اخراج الكنز من قلبها سواه.

قال « كارلو » بقلق : ألا يمكن أن يُعطّل شيء ما خطّتك؟

ابتسم « جينو » ابتسامة واثقة وقال : لا شيء.. إن بعض اصدقائي من حرس السواحل في جيبي، وقد تفاهمت معهم مقابل اغماض عيونهم، أما أي احتمال آخر فقد استعددت له بعشرة من أمهر محترفي القتال تحت الماء.

ولوّح بيده في سعادة قائلاً : وتستطيع اعتبار الذهب في جيبك منذ هذه اللحظة.

* * *

في احدى المستشفيات الخاصة على مسافة ثلاثين كيلومتراً من الشاطئ كان « ماجد » واقفاً مع أحد الأطباء وهو يسأله : كيف حالها يا دكتور؟

— ان حالتها سيئة، ويبدو أنها مصابة بصدمة هيستيرية، وقد أعطيتها مخدّراً حتى تكفّ عن الصراخ، أما جراحها فهي بسيطة وقد عالجناها.

— وهل سيستمرّ علاجها طويلاً؟

— ربما تستغرق أياماً لتفيق من هذه الصدمة..

وبلهجة أخرى أضاف : وربما لن تفيق منها أبداً.. فان أي انسان إذا واجه ما واجهته هذه الفرنسية لا بد وأن يفقد عقله

وصوابه، هذا إن لم يفقد حياته من الرعب.

تقلّصت ملامح « ماجد » بغضب مكتوم وقال : سآتي للاطمئنان عليها بعد ساعات، وسوف أقوم بتسديد كافة مصاريف علاجها إلى أن يتم شفاؤها.

هز الطبيب رأسه متفهماً.

وبعد دقائق كان « ماجد » يستقل تاكسياً إلى الشاطئ مرة أخرى وقد غرق في أفكاره. كان ما حدث نهار ذلك اليوم أمراً لا يمكن تصديقه.. ففي نفس اللحظة التي كاد يستسلم فيها للموت المتوحش يائساً، بنفس اللحظة أقبل قارب كالسهم يشقّ طريقه نحوه ورفيقته التي حاصرتهما أسماك القرش في كل اتجاه..

كانت أسماك القرش لحظتها قد انقضّت في سعار مجنون على كتل اللحم تلتهمه وتمزّقه، وبدا أنها بعد ثوانٍ قليلة، وبعد أن تنتهي من التهام اللحم الدامي فسوف تتجه إلى قلب الدائرة لتكمل على باقي فريستها الحية، حدث هذا عندما ظهر قارب الانقاذ الذي يقوده صاحب مرسى القوارب.. « سبانوتي ».

وشق القارب حلقة الموت الدامية، ولم يكن هناك وقت لأي شرح، وأسرع « ماجد » يتعلّق بحافة القارب، ويحمل بيده الأخرى « جينا » التي أصابتها حالة هيستيرية من الصراخ المجنون.

وانطلق القارب براكبيه يشق قلب الماء عائداً إلى الشاطئ، وهتف

« سبانوتي » وهو يكاد يبكي :

ارجوك سامحني يا سيدي، لقد هدّدني السنيور « كارلو » إن لم أُنفّذ ما أمرني به، ولكن بعد أن غادرني، أدركت شناعة فعلتي فجئت لانقاذكما.. أرجوك يا سيدي اختفي في الحال أنت ورفيقتك وغادرا البلاد وإلا فسيعلم السنيور « كارلو » انني انقذتكما فيقتلني.

ولكن « ماجد » لم يعر الرجل أي انتباه، وأخذ يحاول تهدئة « جينا » التي ظهر أنها تعاني صدمة عصبية هائلة، وأمر « ماجد » «سباتوني » أن يتّجه بقاربه إلى نقطة بعيدة على الشاطئ، ومن هناك استقل « ماجد » تكسياً الى أقرب مستشفى لتعالج « جينا » به.

وأحس « ماجد » بعضلاته تتقلّص وغضب قاهر يغزوه، لقد اتخذ موقف الدفاع مرتين حتى الآن، وهم يحاولون قتله بالثعبان السام وأسماك القرش، ولا يمكن أن يسمح لهم أن يهاجموه أكثر من ذلك.

وسأله السائق وهو يرقبه في مرآة سيارته : إلى أين يا سيدي.. لقد وصلنا الشاطئ.

بهدوء أجابه ماجد : إلى فيلا السنيور « كارلو ».

ولم يكن هناك من لا يعرف المليونير الايطالي، فأوقف السائق عربته أمام باب الفيلا، واندهش « ماجد » عندما وجدها مغلقة وهناك حارس عجوز يجلس أمام بابها.

اقترب « ماجد » من الحارس وقال له : انني أريد مقابلة السنيور « كارلو »..

رد الحارس : انه ليس هنا، فقد غادر الفيلا وأنهى ايجاره لها عصر هذا اليوم ورحل بيخته مع السنيور « جينو ».

اندهش « ماجد » للنتيجة غير المتوقّعة، والقى نظرة سريعة على أسوار الفيلا الخارجية فوجد أن الأسلاك الكهربائية قد انتزعت من مكانها.. وكان هذا دليلاً على أن سكان الفيلا غادروها بالفعل.

أحس « ماجد » بغضب شديد وهو يرى أن آخر الخيوط تقطّعت للوصول الى « عبد القادر ».

وتساءل السائق الذي كان لا يزال منتظراً : أترغب في الذهاب إلى مكان آخر يا سيدي؟

فتح « ماجد » باب السيارة واستقر فوق مقعدها الخلفي وقال لسائقها : نعم.. اذهب إلى الميناء.

تساءل السائق بفضول وهو يقود سيارته خارج الشاطئ : هل ستغادر البلاد يا سيدي؟

رد « ماجد » بلهجة خشنة : ليس هذا من شأنك.

وكان بلهجته ما أقنع الرجل بألا يطرح مزيداً من الأسئلة!

توقفت السيارة على مشارف الميناء، ونقد « ماجد » سائقها أجره،

واتجه إلى حي البحارة الملاصق للميناء، حيث تنتشر البارات الصغيرة القذرة الضيّقة وعلب الليل التي يقصدها البحارة الذين يفدون إلى البلاد على ظهر سفنهم فيقضون بها وقتاً قبل أن يغادروا الميناء.

وكان « ماجد » يطمع أن يجد أحد البحارين اللذين استخدمهما « كارلو » ليلة غرق قاربه في العاصفة، عندما هاجمته سمكة القرش وقضمت ساق أحدهما.

كانت طرقات الحي ضيّقة رطبة تفوح فيها رائحة البحر والرطوبة.. وكانت البارات والحانات الصغيرة تنتشر على جانبيه تنير مدخلها لمبات شاحبة ضعيفة الاضاءة كأنما هي توشك على النعاس، ويصدر من جوف الحانات ضجيج لا حد له وأصوات ضحكات عالية.

دخل « ماجد » ما يقرب من عشرين حانة بدون أن يعثر على بغيته ولكنه لم ييأس، وما كان في استطاعته أن يسأل عن البحارين حتى لا يجذب الإنتباه إليه.

وأخيراً عثر على أحدهما « سوتي » ذي الساق المقطوعة.

كان البحار جالساً في احدى البارات الضيّقة كعلب السردين وبجواره عكازه وحوله مجموعة من السكارى وهو يرفع قدحاً ممتلئاً بالبيرة ويهتف : ليشرب الجميع في صحتي.. وصحة قدمي التي أكلها القرش.. وصحة ذلك الطبيب الغبي الذي أمرني بملازمة فراشي حتى تشفى ساقي.

ورفع قدمه المقطوعة عالياً ليشاهدها الجميع، فبدا منظرها مفزعاً وآثار خياطة اللحم ظاهرة بها، فأخذ البحارة يهللون ويصفقون وهم يشربون البيرة في صحة الرجل وساقه المقطوعة!

جلس « ماجد » الى احدى الموائد يراقب البحار من ظهره بصمت وقد أحس بشيء من الغثيان، ولم يلتفت أحد إليه لشدة الزحام والضجيج حول « سوتي ».

وبعد أن مضت ساعتان كاملتان وكاد الليل أن ينتصف، نهض « سوتي » وهو يترنح مستنداً على عكازه، فتبعه « ماجد » في صمت إلى الخارج.

ومن حانة أخرى ظهر زميل « سوتي »، وناداه الأخير قائلاً : كيف حالك يا « كيرتو » هل تمتّعت بنقود السنيور « كارلو »؟

تلفّت « كيرتو » حوله بحذر وعنّف زميله قائلاً : كف عن هذا الصخب، ألم يطلب منك السنيور ألا تذكر اسمه في أي مكان والا تغادر فراشك قبل شهر؟

هتف « سوتي » محتجاً : وكيف استطيع أن أنفق ما أعطاه لي من نقود إن لم أخبر الجميع أنني كنت أعمل لديه، وأنني كنت سأصبح من أصحاب الملايين لولا أن التهم القرش ساقي.. ثم انني أموت لو رقدت بالفراش يوماً واحداً!

هتف به « كيرتو » محذّراً مرة أخرى، وتساند الاثنان على

بعضهما وشرعا يسيران ليغادرا الحي..

ومن خلفهما سار « ماجد » يتبعهما بدون أن يلحظاه..

سار حتى غادرا الحي، وانحرفا الى منطقة مظلمة خلف الميناء، وفجأة انقضّت قبضتان عليهما كالصاعقة لتطوح بكل منهما على الأرض مسافة مترين..

حملق البحاران ذاهلين في الشبح الماثل أمامهما، والذي أخفى وجهه الضوء الساطع من خلف ظهره..

تمتم « سوتي » ذاهلاً : من أنت؟

هتف « كيرتو » بغضب : لا بد أنه أحد جرذان هذا الميناء القذر ممن يعيشون على السرقة.. سوف ألقّنه درساً غالياً حتى لا يهاجم « كيرتو » مرة أخرى.

وأخرج خنجراً طويلاً من ملابسه واندفع يهاجم « ماجد »، فتلقّفه « ماجد » بضربة من سيف في يده اطارت الخنجر، وبضربة أخرى طار البحار ليسقط في مكانه الأول بجوار زميله!

انكمش « سوتي »، في ذعر على حين راح « كيرتو » يتألّم من الضربة، وهتف « سوتي » بذلّة : أرجوك لا تمسّني بسوء فانني بحار مسكين أكل القرش ساقي ولم تعد لي إلا ساق واحدة.

وأخرج كل ما معه من نقود مدّها إلى « ماجد » قائلاً بتوسّل :

خذ كل ما معي من نقود ولكن لا تمسّني بسوء.

نطق « ماجد » أخيراً قائلاً : انني لا أريد مالكما القذر أيها الشقيان.

تمتم « سوتي » بذعر : وماذا تريد إذن ولماذا هاجمتنا؟

— أريد أن أعرف أين خبأ السنيور « كارلو » الغواص « عبد القادر ».

اتّسعت عينا البحارين بذعر قاتل، وهتف « سوتي » برعب لا حد له :
انا لا نعرف السنيور « كارلو »، ولا هذا الغواص الذي تتحدّث عنه.

ونهض بسرعة وهو يحجل بساقه الوحيدة، فأمسكه « ماجد » من ياقته وشدّد قبضته على رقبته حتى جحظت عينا البحار، وقال له « ماجد » بلهجة باردة : أتتذكّر السمكة التي أكلت ساقك.. من السهل أن أعيدك إليها فتلتهم أحشاءك هذه المرّة.

جحظت عينا « سوتي » هلعاً، وأطلقه « ماجد » فانكمش برعب بجوار زميله.

وبلهجة قاطعة قال « ماجد » : لقد سألتكما سؤالاً، وأنا عادة لا أحب طرح الأسئلة مرتين.

ارتجف « كيرتو » وهو يقول : سوف يقطع السنيور « كارلو » لساننا لو أخبرناك.

قال « ماجد » بابتسامة باردة : هذا أهون من قطع رقبتكما لو لم تنطقا.

ارتجف الرجلان وتبادلا النظرات المرتعبة، وهتف « كيرتو » برعب : واذا أخبرناك، هل ستتركنا أحياء لنغادر البلاد على أول سفينة فننجو من انتقام السنيور « كارلو »؟

ماجد: أعدكما بذلك.

هتف « سوتي » بسرعة : ان السنيور « كارلو » يحتفظ بـ « عبد القادر » في أحد المخازن المهجورة على مسيرة نصف ساعة شمالاً من حانة القط الأسود على أطراف الميناء.

نظر « ماجد » بشكٍّ نحو البحار فهتف « كيرتو » : اننا لا نكذب عليك يا سيدي، أُقسم لك أن ما قاله زميلي صحيح.

ضاقت عينا « ماجد » وهو يقول : وأنا أقسم لكما إن كان ما قلتماه الآن ليس صحيحاً، فلن يمنعني شيء في هذا العالم من القائكما لأسماك القرش ولو هربتما الى القطب الشمالي!

واستدار مبتعداً بقامته العالية والبحاران يراقبانه بذعر شديد وهما ملقيان على الأرض، وسرعان ما كانا يقفزان مثل « كانجارو » مجنون نحو أقرب سفينة في الميناء رفعت مراسيها وتوشك أن تغادره، ومن سوء حظ البحارين أن السفينة كانت متّجهة للقطب الشمالي بالفعل!

• • •

في عرين الأسد

كان المكان الذي أشار إليه البحاران مقفراً معتماً.. وعلى طول المسافة التي سارها « ماجد » باتجاه الشمال بعد أن تخطّى حانة « القط الأسود »، لم يصادف مخلوقاً في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. فقد تجاوزت الساعة منتصف الليل بساعة كاملة، ولاح على البُعد في ضوء النجوم الباهت هيكل ضخم متّسع مترامي الأطراف، يحيطه الصمت والغموض ويلفّه سور عريض عالٍ من جميع الجهات.

اقترب « ماجد » محاذراً أن يراه مخلوق، وقد توقّع أن المكان سيكون غاصاً بالحراس المدجّجين بالسلاح وبأوامر اطلاق الرصاص عند ظهور أي غريب..

وبالفعل فقد لمح « ماجد » على البعد شبحاً لحارس عملاق ضخم الجسم وقد أمسك بمدفع رشاش بيده تأهّباً وهو يحدّق في الفراغ المظلم أمامه.. وعلى مسافة مائة متر كان هناك حارس آخر له نفس القامة والسلاح.. وعلى البعد ظهر حراس آخرون.. وكانت هناك سيارتان « رولز رويس » من أحدث طراز تقفان أمام الأسوار،

أدرك « ماجد » أنهما يخصان « كارلو » وابنه « جينو ».

وأيقن « ماجد » أنه وصل بالفعل إلى عرين الأسد، وأن هؤلاء الحراس لا بد وأنهم يقومون على حراسة « عبد القادر » بالداخل، وأن مركز العمليات المشبوهة للمليونير لا بد وأن يكون بالداخل.

ولكن، كان من المستحيل أن يعبر « ماجد » نقاط الحراسة إلى الداخل بدون أن يراه الحراس ويعاجلوه برصاصهم، وفكر في أنه إذا ما اشتبك مع أحدهم فلا بد أن صوت المعركة سيجذب بقية الحراس الآخرين في معركة لن تكون في صالحه طبعاً.

ولكن صورة الفرنسية المسكينة التي تصرخ من الرعب وقد أحاطت بها أسماك القرش المرعبة دفعت الدماء في عروقه وحفزته للنضال والمخاطرة.

وقد كان يمكنه استعمال مسدّسه وبه كاتم للصوت ولكنه لم يستعمله.. كان يريد أن يستخدم قبضته ليصرف قليلاً من غضبه..

ولاح « ماجد » لأقرب الحراس الذي حملق فيه بدهشة، وقبل أن يصوّب الحارس العملاق مدفعه نحو « ماجد » كان الأخير قد طار في الهواء بحركة بارعة وسدّد بقدمه اليسرى ضربة إلى عنق الحارس الذي ترنّح إلى الوراء خطوة، وبقبضة مثل صدمة بلدوزر سدّد « ماجد » إلى معدة العملاق الذي انثنى لأسفل ممسكاً بطنه بفم فاغر لشدّة ألمه..

وكانت ضربة أخرى بسيف اليد فوق مؤخرة عنق العملاق كفيلة بأن تُسقطه بلا حراك مثل ثور قتيل.

التقط « ماجد » مدفع الحارس الرشاش وجر الحارس إلى نقطة مظلمة بالخلف، وبخفّة النمر تسلّق اسوار المخزن وقفز إلى الداخل.

كانت هناك عدة مبانٍ قليلة الارتفاع داخل السور، كما كانت هناك بعض الآلات الضخمة المعطّلة كالكراكات والأناش واللواري الكبيرة ملقاة في اهمال كأنها ستار لما يدور في المكان من أعمال.. وتعدى « ماجد » الآلات الضخمة متّجهاً إلى مبنى قريب مضاء.

كان هناك حارس آخر يقف على بابه وبحزامه مسدس سريع الطلقات وجهاز لاسلكي وكشاف كبير.. وكان من المستحيل على « ماجد » أن يعبر الباب بدون أن يفتضح أمره.. أمسك « ماجد » بحجر صغير والقاه على مسافة من الحارس فسقط الحجر فوق قطعة حديد مصدراً صوتاً مكتوماً، وعلى الفور شهر الحارس مسدّسه وصوّب كشّافه نحو مكان سقوط الحجر واقترب خطوتين محاذراً.

وكانت هاتان الخطوتان اللتان ابتعد بهما الحارس عن مدخل الباب كفيلتين بأن يتسلل « ماجد » إلى الداخل في خفة النمر وسرعته.

كان المكان بالداخل يؤدي إلى طرق متشعّبة وحجرات عديدة.. وحار « ماجد » في معرفة أين يوجد « كارلو » و « جينو » و « عبد

القادر »، وفجأة هتف أحد الأشخاص من الخلف : من أنت وماذا تفعل هنا؟

والتفت « ماجد » بسرعة فشاهد أحد الخدم في ملابس بيضاء حاملاً صينية رُصّت فوقها أقداح القهوة، وقد ظهرت في عينيه دهشة عميقة أدرك « ماجد » أنها ستنقلب إلى صرخة استنجاد على الفور..

وبلمح البصر كانت قدم « ماجد » اليسرى قد أخذت طريقها نحو فك الرجل، وبيده اليمنى التقط صينية القهوة قبل أن تسقط على الأرض وبدون أن تنسكب من أقداحها قطرة واحدة..

وتمدد الخادم المسكين بلا حراك، وجرّه « ماجد » إلى أحد الأركان المظلمة وخلع ملابس الخادم فارتداها.

وحمل « ماجد » صينية القهوة متّجهاً الى حجرة كان يصدر منها بعض الأصوات فطرق بابها فأتاه صوت يدعوه للدخول..

فتح « ماجد » الباب ودخل متعمداً اخفاء وجهه لأسفل، ولمح « كارلو » و « جينو » جالسين وظهرهما له، وعلى يسارهما جلست البرازيلية السمراء « صوفي ».

أمسك عملاقان « بعبد القادر » الذي بدا عليه الاعياء وقد راحا يلكمانه في قسوة شديدة وقد سالت الدماء من فكّه.. وتعرّف « ماجد » الى « عبد القادر » على الفور.

وهتف « كارلو » بغضب : ألا زلت مُصراً على عدم الغوص أيها الغبيّ؟

نهج « جينو » وهو يقول بعيون ضيّقة : دعوه لي.. أنا كفيل بانتزاع موافقته.. أو حياته!

وأشار إلى البرازيلية فأخرجت جهازاً صغيراً يشبه علبة السجائر من حقيبتها ومدّته له، واقترب « جينو » من « عبد القادر » وقال له ساخراً : سنرى الآن إلى متى سيدوم رفضك.

وضغط على زر بالجهاز فخرج منه سن منشار رهيب راح يدور بسرعة فائقة.

قرّب « جينو » سن المنشار الكهربائي من وجه الغواص وهو يقول له : أترغب في أن أبدأ بقطع أذنيك أم أنفك.. أم نبدأ ببقية اصابع يدك؟

ارتجف « عبد القادر » وظهر الذعر في عينيه، أما « ماجد » الذي تلكّأ في ركن الغرفة فقد تأهّبت حواسه وعضلاته استعداداً لمعركة ضدّ « جينو » لحماية « عبد القادر » إذا ما حاول الايطالي ايذاءه، برغم أن ذلك كان كفيلاً بكشف حقيقته ووضعه في مركز خطر داخل عرين العصابة.

ارتجف « عبد القادر » وهو يقول : أرجوك لا تؤذيني.. لا تؤذيني..

وراح « جينو » يقرب المنشار من وجه الغوّاص الذي شلّ حركته

العملاقان، فالتمع العرق الغزير فوق جبهته وراحت أسنانه تصطكّ بشدّة..

ولم يعد يفصل سن المنشار عن وجه « عبد القادر » إلا مليمترات فصرخ الغوّاص: سوف أنفذ ما تطلبونه.. سأغوص وآتي لكم بالذهب..

ابتسم « جينو » وأوقف الجهاز، وربت على وجنة « عبد القادر » قائلاً: حسناً.. كنت أعرف أنك في النهاية ستوافق.

والتفت الى الحارسين قائلاً: أعيدوه إلى حجرته وابقيا لحراسته حتى الصباح، فسوف نبدأ اخراج الذهب في الفجر لننتهي في المساء.. واخبرا بقية الرجال أن يستعدوا للعملية فجراً..

اتجه « ماجد » إلى الباب ليخرج قبل أن يلحظه أحد بعد أن عرف خطة العصابة، وقبل أن تلمس يده أكرة الباب أوقفه صوت « جينو » وهو يقول: أنت.. ماذا تفعل هنا؟

أدرك « ماجد » أن أمره انكشف وأنه لو استدار وشاهده « جينو » أو « صوفي » لعرفاه على الفور، وبحركة سريعة فتح باب الحجرة وقفز خارجها لحظة أن انطلق من مسدس « جينو » ست رصاصات متتالية اخترقت جميعها الباب حيث كان « ماجد » يقف منذ لحظة.

وصرخ « جينو » في « صوفي »: استدعي كل الحراس.

كان « ماجد » قد قفز مغادراً المبنى، وأدرك أن اطلاق « جينو »

الرصاص قد لفت انتباه الحراس، وانه سيستحيل عليه الخروج من المكان بدون التعرّض لرصاص عشر حراس على الأقل.

كمن « ماجد » خلف بعض الآلات الضخمة، وشاهد « جينو » وهو يندفع خارجاً من المبنى بعيون حمراء كالدم ويصرخ في الحراس : حاصروا أسوار المخزن.. لا تدعوا ذبابة تخرج منه حية.. أريدكم أن تقبضوا على هذا المتسلّل حياً أو ميتاً.

واندفعت مجموعة أخرى من ستة حراس من أحد المبانى أسرعت تطوّق الأسوار، على حين خرج ستة آخرون أشار إليهم « كارلو » أن يقوموا بتفتيش المكان من الداخل. وتقدّم الحراس الستة شاهرين مسدّساتهم وكشّافاتهم نحو الآلات الضخمة الراقدة كالأشباح.. وأدرك « ماجد » أنه أوقع نفسه في مصيدة رهيبة.

* * *

كان من السهل على « ماجد » أن يندفع برصاص مدفعه الرشاش في معركة مكشوفة ضد الحراس الستّة فيتخلّص منهم دفعة واحدة.. ولكن كان ما يقلقه هم حراس الأسوار الخارجية الذين سيصبح تحت رحمة مدافعهم الرشاشة وهم بموقعهم فوق الأسوار يكشفون المكان، وحتى هؤلاء أيضاً إذا نجا منهم فإنه يكاد يكون من المستحيل أن ينجو من الحراس بالخارج.. كان في موقف حرج بالفعل.

واقترب أحد الحراس من مكان « ماجد » وكشافه ينير المكان، ووقع الضوء على « ماجد » فصرخ الحارس : إنه هنا.. وقبل أن يكمل عبارته كانت دفعة رشاش من « ماجد » قد أخرسته للأبد.

وعلى الفور اندفع سيل من الرصاص نحو مكان « ماجد » الذي احتمى خلف ونش عملاق كانت جدرانه المصفّحة أفضل واقٍ له من رصاص الحراس..

ولمعت الفكرة في ذهن « ماجد »، وعلى الفور قام بتنفيذها فأسرع متسلقاً جسد الونش العملاق الذي يرتفع عشرة أمتار، وهو يطلق رشاشه نحو الحراس ليصرف انتباههم حتى فرغ رصاصه لحظة أن قفز داخل كابينة الونش المصفّحة والرصاص ينهمر حوله..

بحث « ماجد » عن مفتاح تشغيل الونش فلم يجده.. وأحس انه وقع في فخ.. وبدأ الحراس يقتربون ويتصايحون وهم يحاصرون الونش الضخم ورصاصهم يقرع جدران الكابينة المصفّحة بصوت رهيب.

وتوقف اطلاق الرصاص بأسفل عندما بدأ بعض الحراس في تسلّق الونش.

وأدرك « ماجد » أنهم يريدونه حياً.

أمسك « ماجد » بخنجره الذي كان يحتفظ به في حزام حول ساقه.. وبقوّة شديدة ثنى سن الخنجر ودسه داخل فتحة مفتاح

تشغيل الونش وراح يحاول ادارته بإرادة قاهرة..

وصار الحراس المتسلّقين على مسافة متر من الكابينة العالية..

وأخيراً دار محرك الونش وهدر بقوّة، وأدار « ماجد » ذراع الونش في اللحظة المناسبة وأطاح بالحراس المتسلّقين فألقاهم على الأرض من علو عشرة أمتار.

وانطلق « ماجد » بالونش الرهيب والرصاص ينهمر حوله بدون أن يمسّه بسوء..

وصرخ « جينو » بجنون : لا تدعوه يهرب، أوقفوا هذا الونش.

ولكن الحراس كانوا يدركون أنها مهمة مستحيلة..

وهدر الونش العملاق مثل ديناصور خرافي والحراس يفرّون من وجهه مذعورين، وحطم « ماجد » سور المخزن بذراع الونش الهائل، وخرج بالونش إلى الخلاء..

وصرخ « كارلو » يائساً : طاردوه بالسيارات.. لا تدعوه يفلت منكم..

ولا بد أنه ندم سريعاً على ما قاله، فقد استدار الونش نحو السيارتين « الرولز رويس » من أحدث طراز ليحطّمهما كلعب الأطفال.. ثم انطلق إلى الخلاء مزمجراً بقوة رهيبة شقّت سكون الليل، بدون أن تجرؤ قوة فوق الأرض على اعتراضه.

الفصل قبل الأخير!

مع أول خيوط الفجر علا هدير محركات زورقين سريعين ظهر فوق سطحهما عشرة رجال مسلّحين بمدافع رشاشة، بواقع خمسة في كل من القاربين، وقد أشرعوا أسلحتهم استعداداً أو تيقظاً، والقاربان يشقّان طريقهما فوق سطح الماء. يعلو وجوه ركابه العشرة الصمت والجمود كأنهم تماثيل حجريّة وليسوا عشرة من أشرس المجرمين في ساحل البحر بذلك المكان..

ومن الخلف على مسافة خمسمائة متر كان يخت المليونير « كارلو » يتبع القاربين، وقد أمسك « جينو » بنظارة مقربة راح يمسح بها سطح الماء إلى مدى بعيد حوله، على حين وقف والده خلفه بشيء من الاضطراب.

أما « صوفي » فراحت تقود اليخت بصمت وقد وشت عيناها قلق عميق.

أنزل « جينو » النظارة عن عينيه قائلاً : لا شيء على مدى عشرين كيلومتراً.

هتف « كارلو » بعصبية : انني لا أفهم.. من هو ذلك الذي هاجمنا بالأمس ودمّر جدار المخزن والسيارتين وهرب بالآلة اللعينة؟

بانت الحيرة في عيني « جينو » وقال : لا أدري.. لو كان العميل المصري لا يزال حياً لقلت إنه هو، ولكنني تركته وسط البحر والأسماك توشك أن تمزّقه هو والفرنسية ولم يكن لهما أي أمل في النجاة..

صوفي: لعله عميل آخر أرسلته جهات الأمن المصرية؟

جينو : لا أظن أن جهات الأمن المصرية علمت بوفاة عميلها وأرسلت غيره بهذه السرعة فلم تمضِ سوى ساعات قلائل على مقتل العميل الأول وظهور ذلك الشخص الآخر.. ولا أظن أيضاً أنه من رجال البوليس الدولي « الانتربول » لأنهم لا يعملون فرادى ولا يسعون في الظلام هكذا.. ونفس الشيء بالنسبة للشرطة المحلية والتي أعرف تماماً أنها لا تدري شيئاً عن المسألة برمتها.

هتف « كارلو » بعصبية وحدة ارتجف لها جسده البدين : اذن من هو.. من هو؟

ضاقت عينا « جينو » وقال : ربما لن نعرف من هو.. ولكننا نعرف على الأقل أنه كان يسعى لمعرفة خطتنا..

صوفي: هذا مؤكد، وإلا ما كان قد غامر بدخول المخزن وسط كل هذه الحراسة.

كارلو: وماذا تظن أنه سيفعل؟

قهقه « جينو » قائلاً : وماذا يستطيع أن يفعل وسط كل هؤلاء الحراس المسلّحين..

وأشار إلى أربعة نقاط بعيدة لأربعة زوارق سريعة امتلأت بحرس السواحل وأكمل قائلاً :

إننا في أمان تام بفضل اصدقائنا في حرس السواحل الذين سيمشطون المنطقة حول مكان السفينة الغارقة وسيمنعون اقتراب ولو سمكة صغيرة، وقد اتفقت معهم ألا يتدخّلوا إلا إذا أرسلت إليهم اشارة استغاثة باللاسلكي، أما إذا اقترب أي كان منا فان رجالنا سيكونون متأهّبين تماماً لملاقاته وتمزيقه.

وأشار برأسه إلى « صوفي » قائلاً : اذهبي وحلّي وثاق عبد القادر ودعيه يستعد.

تركت « صوفي » مكانها بعجلة القيادة وفتحت باباً بسطح اليخت اختفت بداخله..

واقترب « كارلو » من « جينو » وسأله بصوت خفيض : وهذه الفتاة.. لقد صارت تعرف عنا أشياء كثيرة.. هل..

قاطعه « جينو » باسماً : لا تشغل بالك بهذه المسألة، فأنا لا أهفو مثل هذه الهفوات الصغيرة.

وبعد دقائق ظهر « عبد القادر » وقد ارتدى ملابس الغوص الخاصة بالأعماق، وظهرت فوق ملامحه المرهقة علامات الغضب والكره لمختطفيه ولما سيقوم به من عمل.

وأشار له « جينو » بسبابته قائلاً : كُن ولداً طيباً وأدِّ مهمّتك بنجاح فتعيش بقية عمرك مليونيراً، فإن هناك مليوناً من الدولارات ينتظرك مساء اليوم بشرط أن تُخرج كل صناديق الذهب من السفينة الغارقة.. ولتنسى مسألة أن هذا الذهب ملك لحكومتك فإنه ملك من يحصل عليه أولاً.. وها أنت ترى أننا نسعى جاهدين لذلك لنحصل على قصب السبق قبل غيرنا.

لم ينطق « عبد القادر » وتفرّس في الأفق حوله فقال « جينو » ساخراً : لا تبحث عن مساعدة فإنه لو اقتربت ذبابة من مكاننا فستنسف فوراً.

قال « عبد القادر » ساخراً : قلت لي نفس الشيء عن المخزن وحراسته.

جينو : قد يكون معك حق، ولكني لا أخطئ نفس الخطأ مرتين.. لقد أخطأ هذا الغبي الذي هاجمنا في المخزن، وقد أفدنا

بخطأه بهذه الحراسة التي تراها، وسيسعد رجالي أن يمزّقوا هذا الغبي إذا ما حاول الظهور مرة ثانية فيحوّلوا جسده إلى مصفاة برصاصاتهم، وسيكون هذا من سوء حظ اسماك القرش التي ستلتهمه، لأنها لن تجد حينئذ من بقاياه شيئاً.

رمق « عبد القادر » « جينو » بكراهية شديدة، وهتف كارلو: دعونا ننتهي من هذا الحديث.. هل بقي كثير على وصولنا؟

نظر « جينو » إلى لوحة الكترونية بجوار عجلة القيادة وقال: ليس كثيراً.

وراقب مؤشّر السرعة في اللوحة.. وبعد دقائق أطلق صفارة من اليخت وأوقفه.. وفي الحال أوقف الزورقان الآخران محرّكاتهما واحاطا باليخت من الجانبين. واتخذت زوارق حرس السواحل أماكنها على مسافة بعيدة..

فرك « جينو » يديه قائلاً: ها قد آن أوان العمل.. هيا يا « عبد القادر » أرنا مهارتك، إن هناك خمسة حبال ضخمة مثبتة في روافع قوية على سطح اليخت، ستهبط بها في كل مرة فتعلّق كل منها في أحد الصناديق وتعطيني اشارة خاصة بهذا الجهاز بالضغط على مقدّمته فنرفعك مع الصناديق.. ثم تعاود الغوص لتأتي بغيرها إلى أن ننتهي منها جميعاً.

ومد « جينو » جهازاً صغيراً إلى « عبد القادر » فتناوله بصمت وثبته إلى صدره، وأمسك بالحبال الخمسة بيد قوية، وتأهّب للقفز في الماء فرفع « جينو » يده محذراً وهو يقول : حاذر من أي ألاعيب.. وإلا فإن حياتك أهون من أن تكون ثمناً لهذه الألاعيب.

تجاهل « عبد القادر » تحذير « جينو » وقفز في الماء وغاص بداخله هابطاً لأسفل..

وتساءل « كارلو » بقلق : ألا تخشى أن يغوص بعيداً محاولاً الهرب في أي اتجاه بعيداً عن أيدينا.

هز « جينو » رأسه ساخراً وقال : لو حدث ذلك فسأكتشفه فوراً بكل تأكيد.

وأخرج من جيبه جهازاً في حجم كف اليد له شاشة أشبه بشاشة الرادار وقال :

هذه الشاشة تحدّد مسار « عبد القادر » تحت الماء.. فإذا حاول الهرب في أي اتجاه فسيظهر مكانه فوراً والجهة التي يقصدها في شكل نقطة متحرّكة بنفس اتجاهه على الشاشة، أما إذا غاص مباشرة إلى القاع فان النقطة ستظل في مكانها بقلب الشاشة وتحدد العمق الذي وصل إليه باستمرار.

هتفت « صوفي » بدهشة : لست أفهم.. وكيف يستطيع هذا الجهاز تحديد مكان « عبد القادر » تحت الماء؟

رد جينو : هذا لأن الجهاز الذي أعطيته « لعبد القادر » ليستدعينا به لنرفعه مع الصناديق يقوم بمهمة تحديد مكانه وكشف على هذه الشاشة.. وأنتم ترون أنني لا أترك شيئاً للظروف.

غمغم « كارلو » قائلاً : أرجو أن ننتهي من هذه العملية بسرعة فإنني أحس بتوتر شديد.

ومضت ثلث ساعة قبل أن يهتف جينو : لقد وصل إلى العمق المطلوب.. لا شك أنه الآن يقوم بتثبيت الحبال حول صناديق الذهب.

وبعد نصف ساعة لمعت نقطة في الجهاز فهتف « جينو » في صوفي : أديري الروافع الآلية لرفع « عبد القادر » والصناديق.

إتجهت « صوفي » الى مؤخرة اليخت وأدارت الرافعات.. وبعد دقائق ظهر « عبد القادر » على سطح الماء مع الصناديق الخمسة، وكانت صناديق خشبية قد بليت جدرانها بفعل الماء المالح. وقفز ثلاثة رجال من الحراس إلى قلب اليخت ليرفعوا الصناديق داخله، وأمسك « جينو » بعتلة كبيرة وحطم بها جدار أحد الصناديق فظهرت ألواح الذهب صفراء براقة، ورفع « كارلو » الذهب بين ذراعيه بعينين

لمع فيهما الجشع وراح يقهقه في سعادة طاغية وهو يرقص حول نفسه ويقبل الألواح الذهبية.

ابتسم « جينو » والتفت إلى « عبد القادر » قائلاً : لقد بقيت لك تسع مرات تغوص فيها، وإذا تمكّنت من رفع الصناديق الخمسين بمثل هذه السرعة لنرفعها جميعاً قبل حلول الليل فسأضاعف مكافأتي إلى مليوني دولار.

لم ينطق « عبد القادر » وبدّل اسطوانة الأكسجين خلف ظهره بأسطوانة أخرى ممتلئة، وثبت قناعه فوق وجهه ثم ثبت الحبال الخمسة حول ذراعه وعاود قفزه للماء..

وغمغم « كارلو » بجنون وهو يربت على الصناديق الخمسة : سوف نمتلك خمسين مليون دولار مع نهاية هذا النهار.. إنها اسهل الملايين التي حصلت عليها في حياتي.

ابتسم « جينو » ابتسامة عريضة، وشرع يراقب جهازه الصغير في هدوء.

وعلى الشاطئ وفي بقعة نائية متطرّفة كان « ماجد » يرقد فوق تل عال منذ ساعات الفجر الأولى وهو يراقب قلب البحر بنظّارة مقرّبة.. وكان « ماجد » يبدو في جلسته مسترخياً مرتاحا يمضي وقتاً ممتعاً في مراقبة سطح البحر الأزرق، وخاصة وأن علب الفاكهة المثلّجة بجواره والتي راح يحتسيها بلذة وكسل، وكذلك ثمرات

اللوز التي كان يحطَمها بآلة صغيرة ليلتهم الثمرة بجوفها، كل هذا كان يقطع بأنه سائح يقضي وقتاً ممتعاً فوق التل. وفي الحقيقة فإن عيني « ماجد » لم تغفل لحظة عما يدور في قلب البحر، وشاهد « عبد القادر » وهو يصعد إلى سطح الماء مع صناديق الذهب الخمسة، ومن قياسه لوقت غوصه وصعوده قدر أنه سيتمّ اخراج الصناديق قبل حلول الليل بساعة.

وكان هذا مناسباً تماماً « لماجد »، وقد كان يفضّل أن يلعب آخر شوط في مباراته مع تلك العصابة قبل حلول الليل، برغم أن الليل كان يمكن أن يمثّل أفضل ستار له ويساعده على ما ينوي القيام به.

وأمضى ثلاث ساعات وهو يراقب اليخت وقد تجمّع فوق سطحه خمسة عشر صندوقاً..

فقد كان « عبد القادر » يستغرق ساعة في الغوص حتى السفينة الغارقة وتثبيت الحبال بخمسة صناديق منها ثم رفعها لأعلى، وكان هذا زمناً قياسياً لمثل هذا العمل بكل المقاييس، خاصة على هذا العمق الكبير الذي كان أمهر الغواصين وأشجعهم لا يجرؤ على الوصول إليه، وتثاءب « ماجد » وهو يحس بالكسل فلم يكن قد ذاق النوم في الليلة السابقة.

وابتسم وهو يتذكّر كيف قفز من الونش الضخم بعد أن ابتعد

قليلاً به، ثم تركه يسير آلياً وعاد متخفياً ليدخل المخزن مرة أخرى بدون أن يلاحظه أحد من الحراس الذين انشغلوا بمطاردة الونش، واستطاع الوصول إلى مكان « عبد القادر ». وكان يستطيع تحريره من أسره واصطحابه بعيداً ولكن خطّته كانت غير ذلك، فسلم « عبد القادر » رسالة صغيرة وأكّد له أن ينفذّها حرفياً.. وأسرع بمغادرة المكان الذي خلا من الحراس الذين كانوا لا يزالون يطاردون الونش كالبلهاء..

وأغمض « ماجد » عينيه وترك نفسه للنوم، وقد تنبّهت ساعته البيولوجية لتوقظه بعد ست ساعات تماماً..

وفي الخامسة بالضبط استيقظ، وكان أول ما فعله ان امتدّت يده إلى النظارة المقربة وصوّبها نحو اليخت في قلب الماء، فشاهد « كارلو » وهو يقفز سروراً و « صوفي » تحتضن « جينو » بسعادة بالغة.

وقام « ماجد » بعد الصناديق على سطح اليخت فوجدها أربعين صندوقاً.. وبعد دقائق صعد « عبد القادر » إلى سطح اليخت مع خمسة صناديق أخرى.

وبدّل « عبد القادر » اسطوانة الأكسجين للمرة العاشرة ولم يسترح إلا دقائق معدودات ثم قفز إلى قلب الماء...

وهنا نهض « ماجد » من مكانه وشرع يهبط التل باتجاه الشاطئ..

فلم يكن باقياً على اخراج آخر دفعة من صناديق الذهب سوى ساعة واحدة.

وكان هذا هو الوقت المتبقي له ليضع لمساته الأخيرة في تلك المسرحية الدائرة أمامه منذ الصباح الباكر.

وكان واثقاً من أن اخراج الفصل الأخير سيأتي متقناً كأحسن ما يكون!

• • •

الوليمة الأخيرة

أشار « جينو » إلى « صوفي » فأدارت ذراع الروافع الميكانيكية.. بعد دقائق ظهرت الصناديق الخمس الأخيرة على سطح الماء فرفعها رجال « كارلو » إلى مدخل اليخت.

واحتضن « كارلو » الصناديق الأخيرة بفرحة غامرة وهو يهتف : لقد صارت كلها ملكي.. كلها ملكي..

واشتعلت الفرحة في عين « صوفي » وصاحت : وأنا صرت مليونيرة.. صرت مليونيرة..

وأخذت تقهقه بصوت عال، ولكن نظرة من « جينو » أوقفتها ذاهلة وهي ترى المسدس المصّوب نحوها، فهتفت بذعر : جينو ماذا ستفعل؟

رد « جينو » بهدوء : لقد صرت خطراً علينا يا « صوفي » فأنت تعلمين كل أسرارنا، بالاضافة إلى أننا لن نستطيع أن نمنحك

ربع الصفقة كما اتفقنا، ولذلك فمن الأفضل لك ولنا أن تلحقي بصديقتك الفرنسية.

صرخت « صوفي » بجنون وهي تتراجع للخلف : لا تقتلني.. لا تقتلني..

وضغط « جينو » على زناد مسدّسه فظهر ثقب صغير في جبهة « صوفي » وجحظت عيناها، ثم انكفأت على حاجز اليخت وسقطت في الماء وغاصت جثتها في أعماقه..

هتف « كارلو » بعيون وحشية : هذا أفضل.. هل ظنّت هذه الغبية اننا سنمنحها ربع هذا الكنز.. ان العالم مليء بالبلهاء حقاً.

وتذكر شيئاً وصاح ذاهلاً : أين « عبد القادر »؟

تنبه « جينو » مندهشاً، كانت فرحة حصوله على الذهب بالكامل جعلته لا ينتبه الى عدم صعود « عبد القادر » مع الدفعة الأخيرة من الصناديق.

هتف « جينو » بغضب وهو يجز على أسنانه : لا بد أنه هرب..

كارلو: لن يذهب بعيدا على أية حال، فما تبقى له من اكسجين لن يكفيه أكثر من دقائق معدودة ولن يستطيع الوصول إلى أي مكان دون الصعود لأعلى.

قال « جينو » بحسم : انني أريده حياً.. لو تركناه فربما استطاع الوصول إلى الشاطئ وأبلغ السلطات ضدّنا.

وصاح في بعض رجاله : اقبضوا على « عبد القادر ».. إنه هناك في مكان ما تحت الماء قريباً منا.

أسرع خمسة من الرجال يرتدون ملابس الغوص ويتسلّحون ببنادق الماء، وهتف فيهم « جينو » بصوت غاضب أشد الغضب : إنني أريده بأي وسيلة، ومن الأفضل أن تأتوني به قتيلاً!

وفي الحال قفز الرجال الخمسة في قلب الماء، وشرعوا يغوصون على شكل دائرة متّسعة وحرابهم مشرّعة للأمام.

• • •

وعلى مسافة بعيدة عن اليخت سكنت محرّكات الغواصة المصرية « المحروسة » على عمق يزيد عن الف متر.. واقترب « عبد القادر » من الغوّاصّة فوجد باباً صغيراً بجوارها. فسبح الغواص بداخله ثم انغلق الباب، وتسرّب الماء من القاعة التي دخلها « عبد القادر » إلى الخارج حتى جفّت تماماً، وفُتح الباب ودخل قائد الغوّاصة والذي ما كاد يراه « عبد القادر » حتى هتف بسعادة، واحتضن الرجلان بعضهما، فقد كانا يعرفان بعضهما حق المعرفة عندما عملا لسنوات في البحرية المصرية قبل أن تفرّقهما الأحداث.

هتف القائد بسعادة : حمداً لله على سلامتك.. كنا على ثقة انك ستستطيع اداء مهمتك بنجاح.

قال « عبد القادر » بقلق : ولكن الذهب صار في أيدي هؤلاء اللصوص.

رد القائد : لا تخشى شيئاً.. سوف يكون الذهب في قبضتنا خلال أقل من ساعة..

تساءل عبد القادر : كيف؟

ورد القائد بابتسامة عريضة : انتظر وسترى.. إن جزءاً كبيراً من العمل يتوقّف على مدى مهارة « ماجد ».. وقد أخبروني الكثير عن مهارته.

* * *

غاص رجال « كارلو » الخمسة إلى مسافة بعيدة تحت الماء بدون أن يصادفهم شيء وقد كشفوا قلب الماء بكشافات كبيرة معلّقة فوق جباههم وأيديهم قابضة على بنادقهم المائية..

وفجأة أشار أحدهم الى نقطة بعيدة راحت تقترب تجاههم، كان ثمة غواص جريء يندفع نحوهم، وظنوه « عبد القادر ».

ولكنه لم يكن إلا « ماجد »..

كان يعشق المخاطرة، وقد كان باستطاعة رجال الضفادع البشرية للغواصة المحروسة الانقضاض على الرجال الخمسة ليقتلوهم تحت الماء.. ولكن « ماجد » فضّل أن يقوم بالمهمة وحده، تاركاً للغواصة ورجالها الافذاذ الجزء الأخير من المهمة والتي جاءت لاتمامها بناء على طلبه.

اندفع رجال العصابة الخمسة نحو « ماجد » في شكل نصف دائرة، واطلقوا حرابهم بلحظة واحدة الى جسد « ماجد »، ولكنه غاص لأسفل فطارت الحراب، وبيد مدرّبة خبيرة وجه « ماجد » بندقيته نحو صدر أحد الرجال واطلقها، وعلى الفور رُشقت حربة البندقية في صدر الرجل وتلوّى من الألم، وسحابة من الدماء تتجمّع حوله، قبل أن يسقط نحو القاع ميتاً.

اضطرب نظام الرجال الباقين، وانتهز « ماجد » الفرصة بسرعة وصوّب حربة أخرى إلى أقرب الرجال، وسرعان ما لحق بزميله..

وصوّب الرجال الثلاثة بنادقهم نحو « ماجد » وتأهّبوا لاطلاقها، ولم يكن لدى « ماجد » وقت كبير للهرب من مسار الحراب المنطلقة نحوه، وظهرت فجأة سمكة كبيرة تهادت أمامه فأسرع يحتمي خلفها لتستقرّ الحراب الثلاثة في جسدها..

وعلى الفور اطلق « ماجد » بندقيته مرتين فسقط اثنان من الرجال قتلى، وتبقى آخرهم الذي اصابه الرعب فألقى ببندقيته وشرع في الهرب بأقصى ما يستطيع.

ولكنه لم يكن يستطيع الذهاب بعيداً، فقد جذبت رائحة الدماء اسراباً من أسماك القرش، والتي ما كانت لتترك حياً أو ميتاً دون أن تلتهمه وتمزّقه بفكوكها المرعبة.. وهكذا كان مصير الرجال الخمسة في بطون الأسماك المتوحّشة.

راقب « ماجد » الأسماك وهي تقبض على الغواص الحي وتمزّقه، وأخرج من جيب سترته قنينة صغيرة أفرغها في الماء فانتشرت حوله سحابة لسائل أسود ذي رائحة كريهة أبعدت الأسماك المتوحّشة عنه.

وسبح « ماجد » مقترباً من مؤخرة اليخت.. وكان زورقا الحراسة لا زالا باقيين بمكانهما أمام اليخت..

وبخفة اقترب « ماجد » من الزورقين حتى لامسهما من أسفل، وثبت بمؤخرة كل منهما قنبلة موقوتة صغيرة، وأسرع نحو اليخت فدار حوله، وبآلة حادة صغيرة صنع ثقباً كبيراً في قاعه وسدّه بعجينة طرية سوداء، وثقب مخزن الوقود أيضاً.. ثم سبح مبتعداً.

ولم تكد تمضي دقائق قليلة حتى دوّى صوت انفجار ضخم، وتبعه انفجار ثان بعد ثانيتين، وفي لحظة تناثر حطام الزورقين بما كانا يحملان من رجال.

صرخ « كارلو » و « جينو » من الرعب واصابهما ذعر هائل..

وهتف جينو : دعنا نهرب من هنا.. دعنا نهرب إلى قلب البحر

ونغادر هذا المكان فوراً.. لا بد أن ذلك الشيطان قد عاد مرة أخرى.

وأدار محركات اليخت وشرع في الإبحار بأقصى سرعة.

وراقب « ماجد » اليخت وهو يبتعد باسماً.. وكان هذا هو ما يهدف إليه بالضبط، فقد كان يريد ابعاد اليخت عن المياه الاقليمية لشاطئ « نابولي » حتى تستطيع الغواصة « المحروسة » التدخّل في المسألة عندما يصل اليخت إلى المياه الدولية، فقد كان يستحيل تدخّل الغواصّة على مسافة قريبة من الشاطئ، لاحتمال أن تنكشف المسألة برمّتها، مما سيضع الحكومة المصرية في موقف شديد الحرج أمام الحكومة الايطالية.

وكان « ماجد » يعلم تماماً أن اليخت لن يبتعد كثيراً.. بالكاد سيصل إلى بداية المياه الدولية، ثم..

ومن مكان بعيد ظهر قارب سريع يشق الماء لوح له « ماجد ».. وتوقف القارب أمام « ماجد » وأطل منه وجه أشقر مليح للحسناء الفرنسية، وهتفت جينا : هل كل شيء على ما يرام؟

أومأ « ماجد » برأسه وقفز إلى القارب الذي انطلق كالسهم في أثر اليخت.

رمق « ماجد » « جينا » باسماً.. كانت فتاة قوية الارادة، وها هي قد تغلّبت على صدمتها سريعاً، وعندما وعدها « ماجد » بالتخلّص

من « كارلو » و « جينو » أصرّت على أن تشاركه عمله وبدون أن تسأل اسئلة كثيرة.

بدأ اليخت يبطئ من سرعته، وظهرت معالم الدهشة الطاغية على وجه « كارلو » وهو يهتف : ماذا حدث.. لماذا يبطئ هذا اليخت؟

وحاول « جينو » زيادة سرعة اليخت إلى أقصاه بدون فائدة.. وظلت سرعة اليخت تتناقص وتتناقص حتى توقّف تماماً.

صاح « جينو » بغضب : هناك شيء لا أفهمه.. ما الذي أوقف هذا اليخت الملعون؟

واندفع إلى قلب اليخت يفحصه، ثم خرج وعلى وجهه علامات الذهول وهو يقول : إن مخزن الوقود مثقوب وقد تسرّب الوقود كله إلى الماء.

صرخ « كارلو » برعب : ماذا؟

قال « جينو » بعيون مذهولة : ليس هذا فقط.. ان اليخت يغرق أيضاً.

صرخ « كارلو » بجنون : لا.. مستحيل.. ارسل رسالة استغاثة إلى حرس السواحل لينقذونا.

— ان جهاز الارسال والاستقبال معطّل أيضاً.. يبدو أن هناك أجهزة ضخمة للتشويش تؤثّر على عمله.

جحظت عينا « كارلو » بخوف رهيب.. وارتفع الماء في اليخت وبدأ يغوص ببطء، والظلام ينتشر في الأفق حولهما..

وصل الماء إلى منتصف قامتيهما، وصرخ « كارلو » بجنون : لا أريد أن أموت.. لا أريد أن أموت وأترك هذا الكنز يغرق بعد كل ما تكبّدته لأجله.

ووجد الاثنان نفسيهما في الماء بعد أن غاص اليخت من تحتهما واختفى في قلب الماء.. وأخذ « كارلو » و « جينو » يتخبّطان في ذعر في قلب الماء.

وفي هدوء كانت الغواصة « المحروسة » تندفع كحوت ضخم باتجاه اليخت الغارق، وبمهارة ناورت حوله، وفي الوقت المناسب اطلقت شبكة ضخمة خيوطها من الصلب احاطت اليخت الغارق، ثم سحبته أمام أبوابها.. وانفتح أحد أبواب الغواصة فاندفع منه عشرة من رجال الضفادع البشرية نحو الشبكة، وصنعوا ثقباً بها، وشرعوا ينقلون صناديق الذهب من قلب اليخت إلى جوف الغواصة بلا أدنى ضوضاء.

أما على السطح فكان « جينو » و « كارلو » لا يزالان يصرخان في رعب وهما لا يدريان ما يجري بقلب الماء تحتهما.. وظهرت لهما أضواء قارب بخاري سريع، وهتف « كارلو » بجنون وراح يشير للقارب صائحاً ليتوقّف وينقذهما.

توقف القارب على مسافة امتار من « كارلو » و « جينو » وما أن رأى الأثنان راكبيه حتى حملقا فيهما بذهول لا حد له، وتمتم « جينو » كأنه يرى شبحاً من الأشباح : انتما.. كيف.. مستحيل.. لقد أكلكما سمك القرش.

ارتسمت ابتسامة قاسية فوق وجه « جينا » وقالت : ونحن جئنا لنرد لك هديتك السابقة.. ولكننا سنستخدم اسلوباً أرقى في رد الهدية.

وأخرجت من حقيبتها جهازاً صغيراً يصدر ذبذبة عالية.. والقت به في الماء فطفا فوق سطحه بفضل بالون صغير معلّق به بأعلاه.

وأدرك « جينو » ما قصدته الفتاة الفرنسية.. فقد كان ذلك الجهاز يصدر ذبذبة عالية تكون أشبه بالمغناطيس الذي سيجذب آلافاً من أسماك القرش المتوحّشة والتي تمتلك في رؤوسها راداراً يلتقط مثل هذه الذبذبات وسرعان ما تنطلق نحوها كالقذيفة.

صرخ « جينو » بجنون : لا.. لا تتركوني هنا.. أنقذوني.. لا أريد أن أموت.. سوف تمزّقنا أسماك القرش..

وراح يسبح بجنون نحو الجهاز وخلفه والده الذي أصابه مس من الجنون.. والتقط « جينو » الجهاز وأسكته...

ولكن تصرّفه جاء متأخراً.. متأخراً جداً!

فبامتداد الأفق في العتمة ظهرت أذيال مثلّثة تشقّ الماء بسرعة رهيبة باتجاههما منبئة بوصول حشد من الأسماك المتوحّشة..

وصرخ « جينو » و « كارلو » في رعب وأسماك القرش قد بدأت تدور حولهما كعادتها قبل بدء الوليمة.

رفع « ماجد » يده بالتحية لـ« كارلو » و « جينو » قائلاً : أرجو أن تنعما بأحلام سعيدة في بطون أسماك القرش.. وبلّغا سلامي إلى « صوفي » عندما تقابلانها في الجحيم!

وأدار زورقه متّجهاً به نحو الغوّاصة المصرية التي طفت على السطح بانتظارهما بعد أن أدّت مهمتها في التقاط صناديق الذهب كاملة.

أما في الخلف، فقد بدأت الأسماك المتوحّشة وليمتها على الفور بالطعام الشهي، وكانت هذه هي الحسنة الوحيدة التي قدّمها رجل العصابة الايطالي وابنه في دنياهما.. ومن المؤسف أنهما لم يقدّماها إلا بعد أن غادرا عالم الأحياء.

فهرس

هذه العملية :

الكنز الدامي

هناك.. في البحر التيراني كان يوجد كنز مصري غارق منذ عشرات السنين..

وكانت مهمة «ماجد» العثور على ذلك الكنز.. في اللحظة التي بدأت احدى العصابات في البحث عن الكنز ايضاً للاستيلاء عليه..

وكان على «ماجد» أن يواجه العصابة بمفرده.. وكذلك اسماك القرش المتوحّشة.. والطبيعة الثائرة في ذلك المكان من العالم..

فهل ينجح «ماجد» في مهمته وينتصر على أعدائه؟
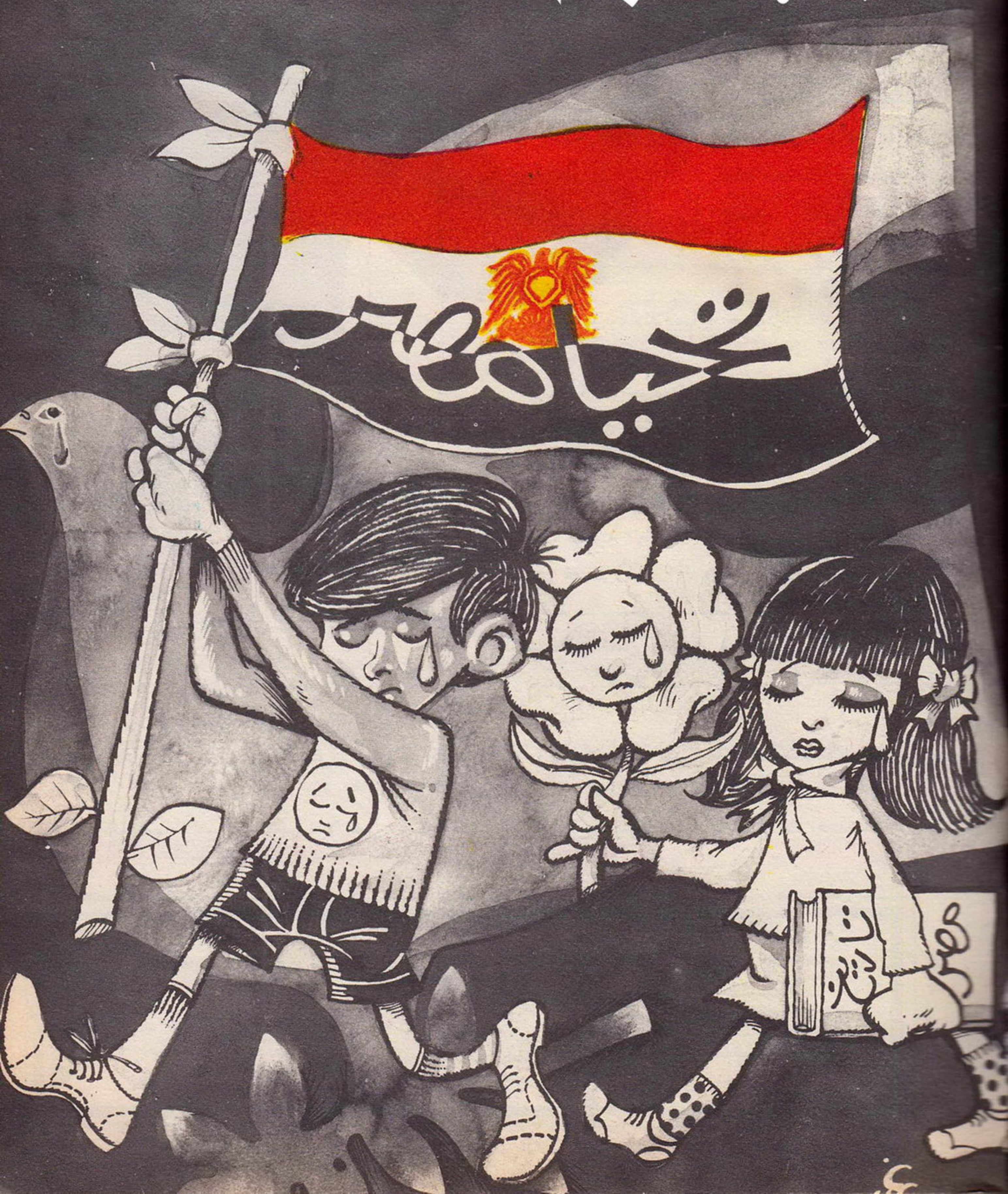
BLUE BIRD

M.Raafat
تحيا مصر

٢
سلسلة رجل المهام الصعبة
الكنز الدامي
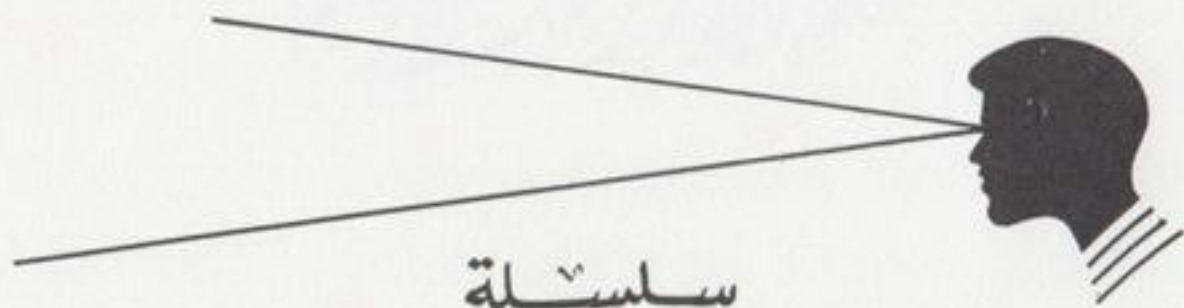
الكنز الدّامي

سِلسلة

رَجُل المَهَام الصَّعبَة

المغامرة الثانية

الكنز الدّامي

تأليف : مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت

رجل العمليات الخاصة:

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان «جيمس بوند» هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كنز من الذهب

تمدّد « ماجد » فوق الشاطئ الايطالي بمدينة « نابولي » بالبحر « التيراني » فوق مقعد شاطئ عريض، وقد أرخى قبعة كبيرة فوق وجهه كأنه غارق في النوم.

ولم يكن فوق جسده القوي المتناسق أي أثر للون البرونزي، الذي تضيفه شمس الشاطئ عادة فوق أجساد المصطافين، لأنه لم تكن هناك أي شمس في صفحة السماء.. برغم أن الوقت كان الثانية ظهراً.

كان الوقت هو منتصف شهر مارس، وكانت صفحة السماء ملبّدة ببعض الغيوم التي تنذر بمطر قريب، وكان من البلاهة أن يذهب انسان ما ليصطاف ويخلع ملابسه في ذلك الوقت من أواخر الشتاء.. خاصة والرياح الباردة كانت تهب منذ الصباح الباكر.

ولكن، كان هناك بالفعل بعض المصطافين القلائل، وكان « ماجد » أحدهم..

كانت هناك أسرة سويدية مكوّنة من رجل وزوجته وطفليهما، وقد راحوا يلهون ويلعبون كرة اليد على الشاطئ، وكان واضحاً أنهم يقضون اجازة سعيدة بالفعل، وان الرياح الباردة لا تؤثر فيهم بسبب اعتيادهم على صقيع بلادهم في الشتاء..

وكان هناك رجل عجوز قد ارتدى ملابسه بالكامل، وفوقها بالطو ثقيل وقبعة عريضة، وقد راح ينظر إلى البحر كأنه يمني نفسه بالنزول إليه ولا يستطيع..

وكان هناك أيضاً شاب ايطالي الملامح متناسق الجسد كأنه بطل في كمال الأجسام، وقد تمدّد على الشاطئ وبجواره حسناوتان فاتنتان ملوّحتا الوجه، وقد بدا عليهم أنهم أفراد عائلة واحدة أو أصدقاء حميمين بسبب إنهماكهم في حديث ضاحك ممتع..

وكان هؤلاء فقط هم رواد الشاطئ العريض ولا أحد آخر على مرمى البصر، سوى صاحب مرسى تأجير الزوارق البخاري، الذي التحف بملابس ثقيلة وقد جلس بجوار زوارقه مسترخياً في كسل موقناً من أن أحداً لن يستأجر زورقاً في ذلك الجو البارد..

وما لبثت الرياح الباردة أن اشتدّت فأزاحت قبعة « ماجد » وكادت تلقيها بعيداً، لولا أن أسرعت أصابعه لتثبيتها بطريقة تقطع أنه لم يكن نائماً أبداً.. ثم تطلّع حوله بفضول قليل، شأن من لا يعنيه ما يجري حوله.

نهض العجوز فغادر الشاطئ بخطوات متباطئة، وبعد دقائق تبعته الأسرة السويدية وغادرت الشاطئ أيضاً.. فلم يتبق إلا « ماجد »، والفتاتان الحسناوتان وصديقهما أو قريبهما.

وكان من العجيب أن يبقى « ماجد » ممدّداً على الشاطئ البارد، خاصة وأن قطرات خفيفة من المطر بدأت في السقوط، منذرة بسيل جارف بعد وقت قليل..

أما الثلاثة الآخرون فبدوا معتادين على مثل هذا الجو، ونهضت الفتاتان والقتا بنفسيهما داخل الماء الذي بدأت أمواجه تعلو وتصطخب، وراحتا تسبحان فيه برشاقة دلّت على مهارتهما الشديدة في السباحة بأسوأ الظروف.

أما الشاب الايطالي فقد نهض من رقدته، وراح يتمشى على الشاطئ غير عابئ بقطرات الماء والرياح الباردة، كأنه يستعرض جسده القوي الممتلئ بالعضلات..

ومن حين لآخر كان يرقب نهاية الشاطئ بشيء من القلق والتوتر، ثم ينظر الى ساعته.

ورمق الشاب الايطالي « ماجد » بنظرة سريعة كأنه يتفحّص أمره، ثم عاد ينظر إلى نهاية الشاطئ..

ولم تكن أي حركة من حركات الشاب لتغفل عن « ماجد ».. وبرغم إرخائه قبعته فوق وجهه وعينيه، فقد أرخاها بزاوية تتيح له

أن يراقب ذلك الشاب بدون أن يجعله يحس أنه مراقب..

ومن زاوية أقصى الأفق ظهر قارب بخاري سريع يشق الماء بقوّة ناثراً رذاذه خلفه، والموج الثائر يدفعه مترنحاً فوق الماء.. وقد ظهر بداخله رجلان تدل ملامحهما على أنهما من البحارة..

أخذ القارب يقترب ويقترب حتى توقّف في بقعة على الشاطئ قريباً من الشاب الايطالي الذي تلفّت حوله في حذر ثم أسرع إلى القارب وسبح حتى وصل إليه وتعلّق به، ثم قفز إلى جوفه وتبادل حديثاً قصيراً مع راكبيه، وعاد القارب يشق الماء بعدها، ليتوقّف في بقعة غير بعيدة ويلتقط الفتاتان ويعاود انطلاقه إلى قلب البحر الهائج، والذي راحت أمواجه تعلو ورياحه تشتدّ منذرةً بعاصفة شديدة.

نهض « ماجد » بعد أن شاهد كل ما جرى على الشاطئ، وعلى الفور اتجه إلى مرسى تأجير الزوارق البخارية، وحيا صاحبه بالايطالية وطلب منه تأجير قارب صغير.

قال الرجل مندهشاً : أتريد الابحار في مثل هذ الجو الممطر والأمواج الصاخبة؟

أخرج « ماجد » من حافظته خمسة ملايين ليرة قدمها إلى الرجل قائلاً :

— هذا هو أجر ابحاري بزورقك ساعة أو ساعتين، وأعتقد

أنك بهذا المبلغ تستطيع شراء زورق غير زورقك اذا ما غرق مثلاً.

ابتلع الرجل لعابه أمام المال، ومد أصابع مرتعشة ليلتقطه وهو يقول بعيون واسعة:

— ولنفترض أنك غرقت فعلاً، فماذا سأقول لرجال الشرطة اذا سألوني كيف أجرت لك قارباً في مثل هذا الجو العاصف؟

قال «ماجد» وهو يدير محرك القارب: أخبرهم أن جدتي العجوز قد طلبت مني أن آتيها بسمكة تونة طازجة من قلب البحر، حيث انها لا تستسيغ أكله معلباً، وانني لا أستطيع مخالفتها أبداً، وانك بالتالي لم تشأ عدم تحقيق رغبة عجوز طيّبة مثل جدّتي بسبب طيبة قلبك!

وانطلق «ماجد» بالقارب في جوف الماء، وصاحب المرسى يحدق فيه ذاهلاً، ثم ابتلع لعابه وتطلّع إلى الخمسة ملايين ليرة بعيون جشعة، ودسّها في جيبه وهو يقول:

— إن العالم حافل بالمجانين هذه الأيام، ومن المؤسف أنهم جميعاً من الأثرياء الذين لا يعرفون كيف ينفقون نقودهم.. إن هذا الأبله يريد إصطياد سمكة تونة لجدّته، وقد كان بإستطاعته بهذه الملايين أن يشتري سوق السمك بالمدينة!

◦ ◦ ◦

انطلق « ماجد » في أثر الزورق الذي ضمّ الفتاتين الحسناوتين والشاب الإيطالي والبحارين الآخرين..

وإستطاع برغم الجو العاصف الممطر والرياح الشديدة والأمواج الصاخبة أن يحدّد اتجاه الزورق فسعى خلفه وقد ترك مسافة بينهما حتى لا يلاحظه راكبوه.. وقد أدرك أن المغامرة التي أتى إليها قد بدأت فعلاً، وانه يشهد أولى أحداثها..

وكان الأمر قد بدأ منذ أيام قليلة بالقاهرة، عندما استدعاه رئيسه السيد « م » على عجل. وما إن جلس « ماجد » أمامه حتى دفع إليه « م » بملف أزرق لا يحتوي إلا على صورة ملوّنة لرجل بملابس غوص في حوالى الأربعين من عمره، وكانت هناك بضعة وريقات قليلة تحمل بعض المعلومات عن الرجل..

وكانت المعلومات تقول بأن الرجل يدعى « عبد القادر محمود »، وانه خدم في البحرية المصرية مدة عشر سنوات كضفدع بشري، وكان من أمهر غواصي البحرية ثم اصيب في إنفجار لغم بحري بإحدى المهمات وفقد أصبعين من أصابع يده اليمنى، فأحيل إلى الإستيداع، ولكن الرجل لم يركن للكسل أو يستسلم لمصيره، بل سافر إلى « شرم الشيخ » وعرض على المسئولين هناك أن يعمل كمدرّب غوص في مركز الغوص المقام بالشاطئ، فوافق المسئولون وتولى عبد القادر مهمته في إستقبال المصطافين القادمين من كل أنحاء العالم، والراغبين في تعلّم الغوص بالميناء الرائع، ولمشاهدة